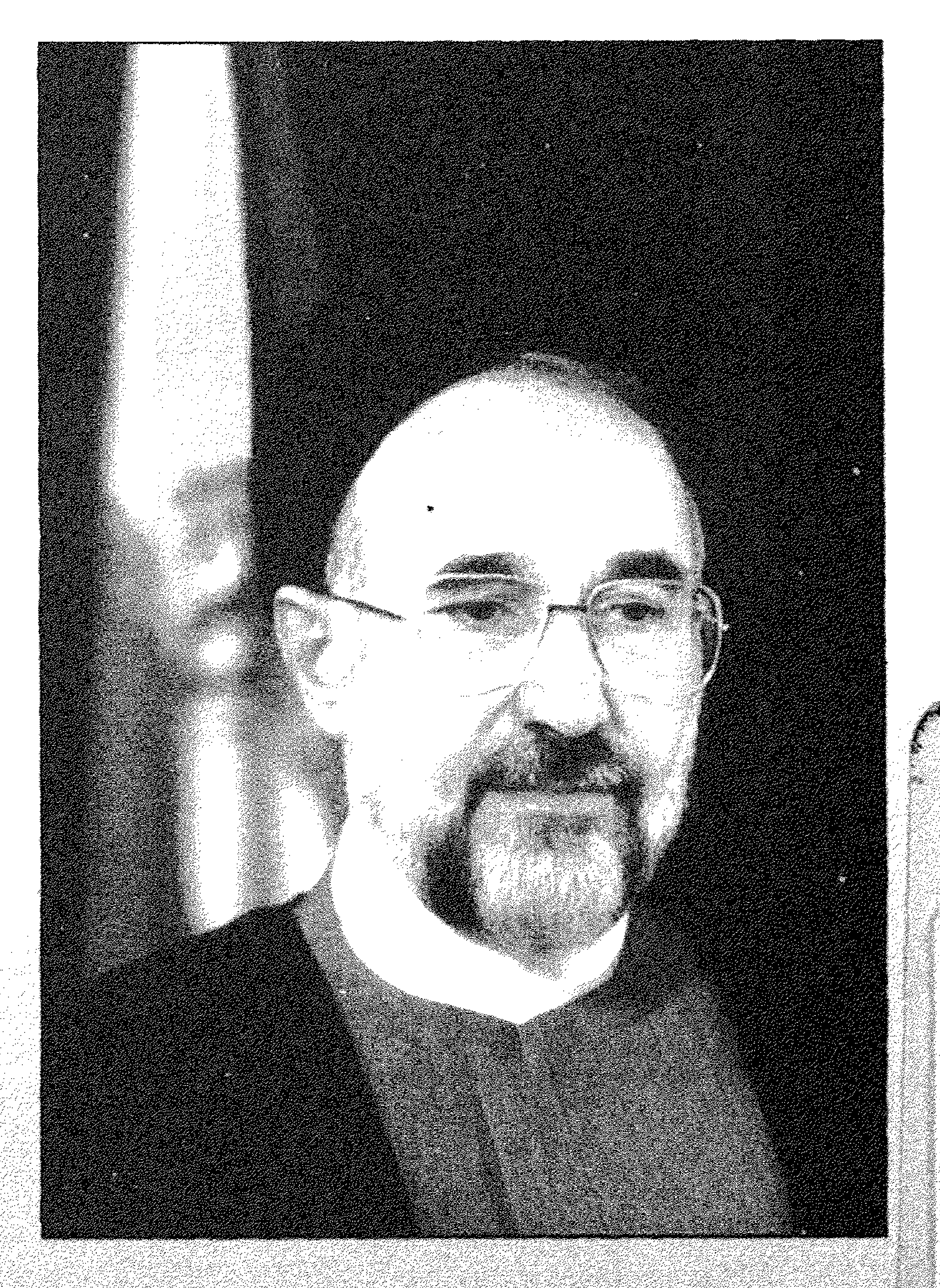
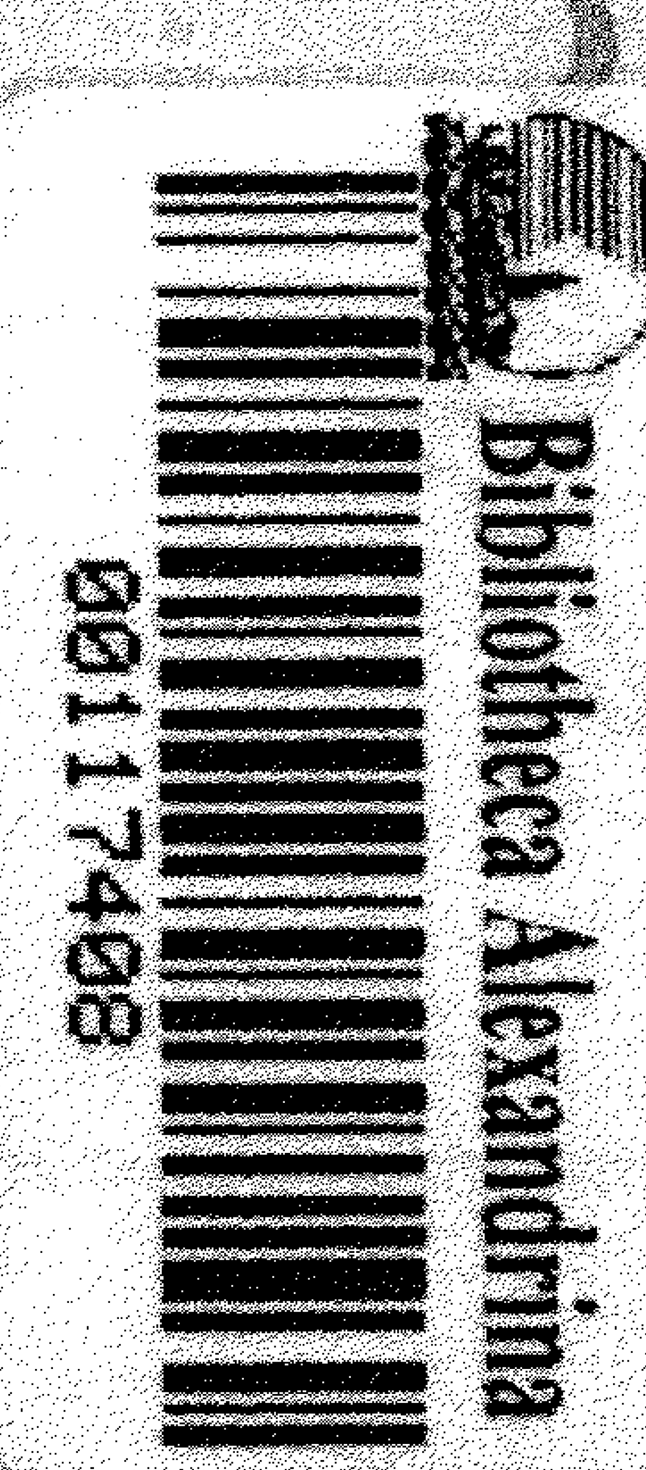
محمد علي سرحان

إيران إلى أين ؟

في عهد الرئيس





حوار حضارات أم صراع حضارات؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إلا تنفروا يعزبكم عزابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه
شيئا والله على كل شيء قدير

صدق الله العظيم

(القرآن الكريم سورة التوبة الآية ٢٩)

إيـــران إلى أيـــن ؟

في عهد الرئيس محمد خاتمي

(حوار حضارات أم صراع حضارات؟)

تـأليف:

محمد علي سرحان

طبع عام ١٩٩٩

- موافقة وزارة الإعلام – تاريخ ١٠ / ٥ /١٩٩٩ رقم :٤٤٦٦٩

- عدد النسـخ – ١٠٠٠

- المؤلف : محمد علي سـرحان

- إيداع مكتبة الأسد رقم / ١٠٠٣ تاريخ : ١٩٩٩/٦

رقم التصنيف : ٩٥٥ /٣٢٠ س/ح خاتمي / محمد علي سرحان

- تصميم الغلاف والخطوط والتنضيد : فوزي سرحان

فهـــرس

مكتبة الأسد – دمشق مايو (أيار) ١٩٩٩

****

١- مقدمة

إيران إلى أين ؟؟ فعالية فكرية وسياسية تعبر عن دراسة موضوعية وهدف محدد لما يجري في المجتمع والدولة داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، رغم أنني بعيد إلى حد ما عن الدخول في البعد المذهبي والعلاقات الناتجة عنه ، لكنني أعتقد جازماً أهمية الوحدة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية الهامة ، ومن هذا المنطلق وجدت أهمية التطرق لموضوعه من الصعب على البعض التطرق إليها ، باعتبارها مسألة معقدة وهامة وتحتاج إلى دراية وتحليل منطقي يأخذ بالاعتبار أهمية الدور الإيراني الحالي كأساس جوهري لإقامة الوحدة الإسلامية من منطلقات محددة ، **إضافة لتطوير عمل واستراتيجية الجمهورية الإسلامية بمضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الخ ..**

والمسلمون في مختلف أنحاء العالم يعتبرون ميلاد النبوي الشريف وقتاً مهماً للوحدة الإسلامية الفكري والروحي لأن النبي الكريم (صلعم) هو المؤسس للأمة الإسلامية ، ولعل مؤتمرات الوحدة الإسلامية ونتائج أعمالها تضفي على الأمة الإسلامية السير

باتجاه واحد وأبعاد الإشكاليات المذهبية (السنة والشيعة) والصـراع بين الاخوة وأولاد العمومة لأن المستفيد الوحيد منها أعداء الأمـــة أنفسهم ولطالما أن المرجع الأساس للجميع القرآن الكريم والوحـــي وأركان الإسلام فإنه لا توجد خلافات إلا تلك التي يغذيها أعـــداء الأمة والمتربصون بها وبمقدراتها ، ولا بد من التركيز على التطويـــر الحضاري الاقتصادي الصناعي والزراعي والتجاري والتكنولوجـــي ضمن الأمة الإسلامية للنهوض بمقدراتها الحيوية . من هنـــا يؤكـــد المتبعون لتحركات ونشاطات الرئيس الإيراني – الجديد السيد محمـد خاتمي منذ انتخابه بـ ٢٣ أيار ١٩٩٧ ، أنه حاول إثبـــات دوره المميز والهام في خضم التطورات والأحداث الداخليـــة والخارجيـة ومعالجتها كرجل دولة في تواصل نجاحات الجمهوريـــة الإســـلامية الفتية ، وعلى ما يبدو أن توجهاته هي امتداد لما سبقه لكن أجـــاز لنفسه التطلع برؤية فكرية متماسكة أكثر وبمنهجية واضحة ، مـــن خلال الفكر التنويري – الإصلاحي ومحاولته الإحاطة بمجمل اللوحة السياسية والفكرية الدائرة في الخليج والشرق الأوسط والعالم مـــن جهة ومن جهة أخرى سعيه لتلقي أعباء رئاسية إضافيـــة لتوطيـــد

الجمهورية الإسلامية والدستور المؤسس عليها ، خاصة وأنه مفكر ومثقف وكاتب يتمتع برؤيا لا بأس بها تجاه مختلف القضايا المصيرية وفي كتابه " بيم موج " الذي يكتسب فيه المزيد من الدراية حينما يدرك ساحل البحر بعد عناء ركوب البحار والأمواج تستنير روحه بنور المعرفة والسلوك المعنوي بعيداً عن الضلال والجهل ناشداً العلم والثقافة المستنيرة [1].

إنه يعطي انطباعاً أولياً هاماً ليس أمام ثقافة الحضارة – الغربية بل أمام مرآة الثقافة الإسلامية من جديد ويقدم نفسه العارف والمدقق لما يمكن أن يكون عليه المجتمع والدولة في إيران ، وعلى هذه الأساس يعتبر السيد محمد خاتمي من الشخصيات السياسية والفكرية التي ترصد التحولات السياسية والفكرية والاجتماعية في الغرب ودراسة مذاهبها الأساسية من الاشتراكية العلمية إلى الليبرالية والفكر الوضعي وفلسفته ، ويحاول إيجاد القاعدة الفلسفية والفكرية والسياسية كمنظومة هامة للدفاع المستنير عن الأمة الإسلامية

---

[1] " بيم موج " المشهد الثقافي في إيران " ، مخاوف وآمال ، د. محمد خاتمي / دار الجديد – بيروت لبنان /١٩٩٩/الطبعة الثالثة ص٣٩/٤٠/٨١/٩٨

وتاريخها ومستقبلها ، معتمداً على كم هائل من التراث الإسلامي الفكري واللغوي والفقهي والاقتصادي ، وبالأخص اعتباره كتاب " اقتصادنا " ذلك الكتاب القيّم جداً والمفيد ، للشهيد الصدر كحجر زاوية في فكره وعمله [٢].

وهو الذي يؤكد في إنتاجه الفكري على : " حيوية الإنسان واتقاده وما يظهر في حياته من حاجات ضرورية وجديدة ، لأن الإنسان بفطرته ، ذو عقل باحث يتطلع إلى معرفة كل ما يحيط به وهو يواجه أسئلة جديدة باستمرار .... " [٣] .

كذلك فإنه يسرني ويسر الكثير من الباحثين المسلمين والعرب وضوحه الفكري وحديثه عن الشمولية الإنسانية في رؤياه الفكرية والسياسية عن أزمة الحضارة الغربية ، وحديثه عن رسالة الإسلام المعاصر في حوار الحضارات ، رغم أن ذلك الحوار تعبير متوقد لحرارة الاندفاع الإسلامي بوجه الهمجية الإمبريالية وهيمنتها العسكرية والمالية والإعلامية المدعومة علناً وسراً من الصهيونية

---

[٢] نفس المصدر السابق .

[٣] نفس المصدر السابق .

العالمية، إذ تقتضي الحضارة الإنسانية في القرن القادم نظرة إنسانية – حضارية جديدة للحياة ، وأن الاستعمار الحديث وما يطرحه من "النظام الدولي الجديد" الهادف إلى الهيمنة الأمريكية الشاملة على شعوب ودول العالم ، هي محاولات جديدة لفرض نفسه ليس عن طريق الحوار بل عن طريق الأساليب الميكافيلية والكيل بمكيالين في العلاقات الدولية وتمزيق ميثاق هيئة الأمم المتحدة وضرب التعاون الأممي بين الشعوب لصالح استخدام القوة والأساطيل البحرية والجوية والبرية واستعراض أنيابه الحربية دفاعاً عن مصالحه خارج حدوده .

ولإنقاذ نفسه من الأزمات التي تعصف بأركان وجوده والتكيّف مع ظروف الاضطرابات الاقتصادية – والاجتماعية والتحايل على المؤسسات الدولية واتخاذها بالقوة مطية استعمارية له.

والخاتمه هاهنا تتفق مع العديد من المفكرين والباحثين العرب وغير العرب والمسلمين وغير المسلمين في تحديد وتشخيص اللوحة السياسية العالمية الحالية ، رغم اختلاف المصادر الفكرية ، لأن المستَضعف ، والمستغَل ، والمضطَهد في مختلف أنحاء العالم لديه نفس الفطرة والشعور الإنساني بهمجية الاستعمار الحديث ودوره

التاريخي المهدم للحضارات الأخرى والمشوه لكفاحها الإنساني والثقافي والاجتماعي لا بل ويحاول ضرب جذورها وإفقارها وحرمانها من التواصل الكريم والإنساني ، إضافة إلى أنه يقوم بتأزيم مجتمعاتها وبالأخص المجتمعات الإسلامية بالإضافة لعدم استدراكنا لحل تلك الأزمات شعبياً ورسمياً وضرورة التحلي برؤيا حضارية مستقلة تخرج عن التبعية للحضارة الغربية وبالأخص حل مشاكلنا بأنفسنا ومع جيراننا دون تدخلات خارجية سافرة وهمجية .

والرئيس الإيراني الجديد يحمل معه فيما يبدو برنامجاً واضحاً ، ويعمل على الاستفادة من تجربته وتجربة الثورة الإسلامية في إيران ، من خلال رؤية تنظر للمجتمع والدولة على أساس أنهما متماسكان في مواجهة القضايا السياسية المهمة ، وذلك في أن يكون هناك تطابق صريح بين مصالح النخبة الحاكمة بوعيها السياسي لمعطيات الثورة والجمهورية وامتدادهما في صياغة مستقبل الشعب الإيراني وحكومته مع تطلعات مختلف فئات الناس وتأكيد تطلعاتهم وطموحاتهم باعتبارهم الموضوع الجوهري أكان في استمرارية الثورة

أو بناء الدولة الإسلامية الحديثة [٤] .

وإن عملية تطوير إيران الجديدة إلى عهد يتمثل بإعـــادة البناء والأعمار والتنمية بكل مستوياتها المعنوية والمادية مع الدقـة في استجلاء الأمور المكرسة لخدمة أهداف الثورة أو الدولة فإن الخاتمية تحاول كما يبدو أن تحقق انتصارات داخلية لصالح الرؤية الإصلاحية المنفتحة التي قد لا ترضي البعض وفيها محاولات لممارسة نوعٍ جديدٍ من تطلعات الشارع الإيراني على أساس أنها تشكل أسس ثابتـة في فهمه الجديد " **كرئيس للدولة** " يخدم الـدور الإيجـابي داخلياً وخارجياً أستطيع القول هنا **أن الحركة الإسلامية بمختلف مضامينها الفكرية والسياسية هي حجر زاوية للدولة الإسلامية ولمسار العمل الإصلاحي – الجديد** الذي يقوده خاتمي وغـيره مـن القيـادات الإيرانية ولعل تعليقات مرشد الثورة آية الله خامئني على انتخابـات البلديات فيها دلائل جديدة على تطوير نهج الثورة ضمـن خطـط استراتيجية إيرانية مع مواجهة التشويه والتشويش الدعائي والإعلامي

---

[٤] انظر / أضواء على طريق الوحدة الإسلامية / محمد علي التسخيري / طهران / ١٩٩٨ / ص ١٣١ .

التي يوجهها الغرب الرأسمالي تجاه الفطرة الإنسانية والتأكيد على كل ما جاء من تصورات عن الواقع والحياة . والإسلام ليس قائماً على صيغ العداء والهيمنة والتعصب بل قائم على الروح الإنسانية واحترام الآخرين بغض النظر عن اللون والجنس والقومية وكان الإسلام ولا يزال يتمتع بالهوية الإنسانية التي أساسها السلام والعدالة [٥] .

المثقفون المسلمون والعرب يطالعون ويلاحقون دائماً الفكر والدعاية الغربية أكانت سلبية أم إيجابية ومعرفة أحداث وأخبار ومعطيات العالم الغربي تقتضي الرد الموضوعي والمناسب وصياغة استراتيجية إسلامية وعربية قادرة على الولوج في عالم التحديات ولعل مقررات المؤتمر الإسلامي في طهران دلل بعمق على أهمية تلك الرؤية التي أكدها الرئيس محمد خاتمي ، وحلل آفاقها بسعة ودراية الرئيس حافظ الأسد بأفقه العربي والإسلامي الدقيق وأهمية الموقف السياسي الموحد من القضايا العالمية ونبذ الخلافات برمتها لصالح استراتيجية موحدة .

---

[٥] انظر / محاضرة د. جورج جبور / مؤتمر الفكر السياسي الإسلامي / ١٩٩٩/٣/٩/الدولة والدستور .

في كتابي الذي يمثل بالنسبة لي الدخول إلى دراسة هامة لعمق الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية من النواحي الفكرية والسياسية ، فإنني قد استفدت بشكل كبير من المراجع والمصادر والملاحظات الموضوعية الهامة المتوفرة لإخراج الكتاب بصورة مبسطة وأفضل ، مع أن الكتاب بالفهرس الذي قدمته للقارئ العربي والإسلامي لا يحتوي على قضايا ونواحي واسعة بل على قضايا محددة لأهميتها إلاّ أنني استوفيت بعض الأسس والأفكار باتجاه تحليل واستنباط وكشف صورة محددة ربما أكون موفقاً بها عن دور الرئيس محمد خاتمي الجديد في إيران التي تربطها مع الأمة العربية كما قال السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية روابط تاريخية وثقافية تمتد إلى قرون طويلة .

أرجو أن أكون موفقاً في إعطاء اللوحة الفكرية والسياسية عن الموضوع لإغناء المكتبة العربية والإسلامية بهذا الكتاب والأطروحة الجديدة .

المؤلف : محمد علي سرحان

دمشق ١٥ / ٤ / ١٩٩٩

٢- جوهر الفكر السياسي والدولة

(عند السيد محمد خاتمي)

عند دراسة الفكر السياسي – الإصلاحي عند السيد محمد خاتمي وعلى الأقل في الفكر السياسي الشيعي أو الفقه الشيعي ، يمكننا القول أن هنالك استمرارية وتجديد قادرة على تحليل الظروف والمعطيات ووضع الهدف للحياة ويمكن أن يكون هناك نظريات متعددة ، قد يتلازم الفقه الشيعي في دراستها مع وجود نظرية واحدة حيال الدولة ، وتفحص آراء فقهاء الشيعة والنظر إليها بروح جديدة في هذه الأيام تمثل روح عصر هام من النضوج الفكري والسياسي الشيعي وتبلوره ، وأجد أن السيد محمد مهدي شمس الدين معبر عن هذه الرؤيا في الفكر الشيعي من خلال فكره ودوره الديني والسياسي على السواء ، ومن البديهي أن تساهم أفكار وآراء وتحليلات سياسية في إغناء البحث وضرورة الولوج إلى معرفة الأفكار الأساسية لرئيس دولة يعتمد على رؤية هامة في إعادة تطوير الفكر السياسي الإسلامي والتعمق في ما يطرحه من استدلالات وتحليلات منسجمة مع من سبقه من أفكار للإمام الخميني الراحل حول حدود الحرية الفردية

والاجتماعية وتعيين حاكمية ولاية الفقيه ، وترسم حدودها في الدولة والمجتمع الإسلامي داخل إيران .

وخاصة أن الرئيس محمد خاتمي ينظر إلى المجتمع ككل على أنه مصطلح ناشئ يربط بعصور الفكر الجديد وبحضارة غربية تهيمن على الأرض وعلى الوجود البشري بهذا القدر أو ذاك ، وأن عقول وقلوب المسلمين مشدودة إلى بواعث ودوافع ترتبط بحضارة بائدة ، تلك الحضارة التي يختلف شكلها وجوهرها عن جوهر وشكل الحضارة الغربية – الجديدة ، مع الأخذ بالاعتبار أننا الآن نعيش في خضم الحضارة – الجديدة .

ويركز بالتالي على أن المصطلح الماركسي الذي ينظر على أن المجتمع البشري تحكمه قوانين ومن ضمنها أن بنية أي مجتمع ترتكز على "البناء التحتي" و "البناء الفوقي" والذي نجده في التعاليم الماركسية الخاصة بقوانين التطور الاجتماعي والتي تعتمد على الحياة الاجتماعية وتحدد بواسطة الوعي من خلال تفهم قوى الإنتاج وعلاقتها والنظر إلى قوانين التطور الاجتماعي وعلى أن الناس

يستطيعون اكتشاف هذه القوانين [٦] .

إلاّ أن السيد محمد خاتمي يؤكد على أن موضوع علم الاجتماع المعاصر هو أمر جديد كالعلم نفسه ، وهذا الشيء صار سبباً لردود فعل فكرية وعاطفية متفاوتة في عقول ونفوس غير الغربيين ومن بينهم سكان البلاد الإسلامية [٧] .

ذلك أن الرجوع إلى الأصول وبعض المعايير التي اشترك بها المسلمون عبر التاريخ نجد لديهم صيغاً استنباطية متفاوتة ومتعددة عن الإسلام ، على أن حصر حقيقة الإسلام في إطار رؤية وصيغ بعينها منفردة ستصاب بالفشل على المدى البعيد وبالإحباط على المدى القصير ، رغم أن البشر يتحركون صوب الدين بأحكام مسبقة وبرؤية دينية موجهه سلفاً ضمن موازين عقلانية وروحية واضحة تستند على الأحجية والاعتبار الفكري ، فإن دون ذلك فإن أضراراً خطيرة تحيق بالفكر وبحياة الأمة الإسلامية . وفي حيال الانغلاق والتعصب .

---

[٦] انظر / أ ، ب ، السياسة / دار الثقافة الجديدة / مصر / ترجمة سعد رحمه .

[٧] انظر / قضايا الإسلامية/الفكر السياسي الإسلامي/العدد السادس١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م ص ٤٨/٤٧ / الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

لا ريب أن الرؤية الفكرية التي يستند عليها خاتمي لها دلالات علمية وواقعية إلى حد كبير باعتباره يفند قضايا هامة في الفكر الإسلامي، ويعيد صياغتها بحكمة وبرؤية تاريخية فيها الكثير من المصداقية . وهنا تكمن عقلية عصرنة الإسلام في النظر إلى التحولات السياسية العالمية التي تفرض علينا قوانينها شئنا أم أبينا ، وهي عقلية خصبة وناضجة في فهم العوامل الموضوعية المؤثرة علينا ، خاصة وأن الغرب لا يزال ومنذ فترة يجعل الإسلام هدفاً من أهدافه الاستعمارية وعدواً لدوداً قائماً يجب محاربته لذلك فإن رؤية التعددية ليست مجانبة الاستعمار أو الخوف منه بقدر ما تعني تفهم الحياة البشرية والمجتمع الإنساني وتهيئة فضاء حيوي تتصارع فيه الأفكار والتي هي تعبير عن توجهات معنية ولكن بصراع سلمي واحترام متبادل من أجل تفاعل الأفكار وتواصل الحضارات ، وأنه على المجتمع الإسلامي الذي يعتبر جزءاً هاماً من المجتمع الإنساني أن يأخذ فرصته من النمو المطرد . هذه الدقة التي يعبر عنها السيد خاتمي وأصيغها بأسلوبي وتحليلي الخاص ، هي المعبرة عن الفكر السياسي الناضج الذي يريد استيعاب الآخر ووضع آفاق أمامه من أجل

الوصول إلى التكامل والغنى المتزايد لتطوير العلاقة البشرية وليس تجاوزها [8] .

وعلى أساس الرؤية العلمية التي استمدها العقل التنويري للرئيس خاتمي ، كانت امتداداً طبيعياً للفكر السياسي للإمام الخميني، وهي دراسة التاريخ الإسلامي كما كان في حقيقته ، وإعادة فهم الظروف والقوانين التي أحاطت به على أساس من دراسة قوانين المجتمع ، وهنا يركز الرئيس خاتمي في أفكاره الهامة للقضايا الإسلامية على الأمور التالية:

أ- العقلانية الفلسفية : على أنها ازدهرت بين نخبة القوم على نحو معين .

ب- الحياة الاجتماعية السائدة : حيث كانت المؤثرات الاجتماعية تفعل فعلها وتشهد ازدهارها وتغلغل التشرع والتصوف اللذين كانا يحظيان بقاعدة اجتماعية .

ت- الاستبداد السياسي : حيث كانت هناك فئة أو بنية فوقية تستخدم مصالحها الفئوية وتسلطها على الحياة الاجتماعية

---

[8] نفس المصدر السابق .

الإسلامية أو سلطة الغلبة الحاكمة .

ث- الفلسفة المدنية : إقصاء الفلسفة تلك عن دائرة الفكر ومنع استخدامها أو الاهتمام بها عند علماء المسلمين ، والتي بقي منها فلسفة ما بعد الطبيعة التي راح يفخر بها المسلمون [9] .

لذلك فإن السيد محمد خاتمي كمفكر وكاتب أرجع المسألة برمتها إلى ثلاث تيارات فكرية – سياسية تمثل الحالة السياسية التي كانت سائدة وتحول السياسة بعد وفاة الرسول محمد (صلعم) إلى الاستبداد والتغلب . الذي اكتسب على مر التاريخ تسويغات دينية وعرفية وفلسفية أيضاً وهي رؤية خاصة بالفكر الشيعي ، تلك الفلسفة التي كانت تتناسب مع الدوافع والأسئلة الوجودية والتاريخية للمسلمين حيث ازدهر الاتجاه المشيئي وبلغ ذروته عند ابن سيناء ، والتيارات الثلاث هي :

أولاً : المجال الفكري والعقائدي عند الإسلام .

ثانياً : التصوف عند الإسلام وموقفه من السلطات الحاكمة

ثالثاً : تيار العقلانية الفلسفية ، وغيابه عن بنية البحث في

---

[9] نفس المصدر السابق .

الحياة السياسية وغافلاً عن مصير الأمة ومستقبلها .

من هنا فإن حجر الزاوية في الفكر السياسي عند السيد خاتمي باتت واضحة ، وهي أكثر تحديداً حينما يركز على تمركز الاستبداد الخارجي والداخلي معاً . ومن حيث الاستبداد الخارجي اعتبر الحضارة الغربية وانبثاقها ونزوعها للعالمية وتمددها وانطلاقها نحو الهيمنة والسيطرة الناشئة الآن في العالم ، يعتبر عامل ارتكاز لنشوء متغيرين مهمين في الحياة البشرية بمجالاتها العلمية والتكنولوجيا وآفاقها الأخرى ، والمجالات السياسية والفكر [١٠] .

أما بالنسبة للاستبداد الداخلي فإنه ركز على عاملين للمتغيرات وهما :

أ- فرض النهج الاستعماري الطامح للهيمنة والسيطرة في السياسة الغربية سبباً في أن يتغير الاستبداد الداخلي في المجتمعات غير الغربية من حيث القواعد والمنطق والأسلوب، وذلك منذ حوالي ٢٠٠ عاماً حيث لم يعد يستند الاستبداد

---

[١٠] انظر نفس المصدر السابق ، داوود فيرحي / ص ٢٠٤/٢٠٥ الفرد والدولة في الفكر السياسي / الثقافة السياسية المعاصرة في إيران .

الداخلي على قوته الذاتية فقط بل على الارتباط أيضاً بعلاقات التبعية بالقوى الخارجية ذات النزعة الاستعمارية التوسعية .

من هذا المنطلق نجد أن الحضارة الغربية استفادت من حلفاء جدد لها حينما غيرت الواقع السياسي خارج حدودها .

ب- بروز منظومة من المجالات الفكرية – والسياسية بمفاهيم جديدة تدرس الإنسان والمجتمع وهي تختلف عن المنظومة الفكرية القديمة ، والتي شكلت أزمة عصرية في وعي الناس.

ت- من ضمن ذلك العقد الاجتماعي والدولة ، حق مشاركة الشعب في المصير السياسي ، والحرية ، وتقييد السلطة السياسية بإرادة الشعب ، المصلحة العامة وغير ذلك .

من هنا يستشف المرء من خلال تحليلاته أيضاً أن هناك ثلاث تيارات فكرية إسلامية واجهت المسألة (تيار سلفي) و (تيار تغريبي) و (تيار إصلاحي) حيث تعقد الآمال على الاتجاه الإصلاحي الذي يمكن أن يقدم الشيء الجديد ويتوجه نحو مستقبل أفضل وهو الاتجاه الذي يمثله خاتمي ويدافع عنه .

لا يمكن هنا رصد الكثير من الأفكار والنشاط الفكري الذي يستند إليه السيد رئيس جمهورية إيران محمد خاتمي في هذه المنظومة الأولية إلاّ أنه من خلال عرض هذه الخلاصة الجوهرية نستشف بأن الدين والدولة والسياسة والمجتمع والفرد والشعب ، والسياسة الداخلية وبعدها السياسة الخارجية لها آفاق خاصة ذات طابع باعث على تنشيط الذاكرة والفكر الإنساني فالدين في إيران اليوم – ولا سيما التشيع – هو قاعدة ثابتة تحظى بفعالية هامة ، وعراقة الدين في التاريخ ونفوذه في مجتمعاتنا ، فإن الثورة الإسلامية في إيران جعلته مصدراً جوهرياً لتأسيس نظام سياسي ودولة تعجل من النمو الاجتماعي والاقتصادي وبلوغ الشعب حدود النضج والمساهمة في صياغة وعيه السياسي ودوره في استقرار الدولة ونظامها الجمهوري الدستوري في استمداد العبرة من الماضي وتوفير فضاء فكري واعي للأمور السياسية والثقافة السياسية وحوار الحضارات وتثبيت الهوية الثقافية الإسلامية والشخصية التي تنتزع إلى الفعل المعاصر بكل اتجاهاته لترسيخ الإصلاح السياسي وإحراز التكامل ، هذا ما

اعتمدت عليه الخاتمية أساساً [11] .

إذاً شكلت الثورة الإسلامية في إيران علامة بارزة في العالم المعاصر ، وتحديد مكانتها وأهميتها ، يجري من خلال كونها أعتقت ملايين الناس من حالات الاضطهاد الاجتماعي والسياسي ، وقادها الإمام الخميني باعتبارها معلماً هاماً في التاريخ الإسلامي ،ونقلت الحالة الطوباوية الإسلامية إلى حالة واقعية معاشة في كنف الثورة وأبرزت تحولاتها في جميع مجالات الحياة ، بما في ذلك التنسيق بين المشروعين الديموقراطي والدولة الدينية والعلاقة مع المحيط السياسي والاقتصادي ، والسعي بين ثورية إسلامية هادفة إلى تعريف العالم على المشروع السياسي الإسلامي التنويري وبين توطيد دعائم الدولة الإسلامية من منطلق إصلاحي والسعي للاستقرار ليس الديني والشورى والمجتمع الإسلامي التقليدي بل والسعي إلى الاستقرار السياسي بمفاهيمه العصرية التي تلائم ذلك المجتمع من منطلق الرؤية

---

[11] انظر ، أضواء على طريق الوحدة الإسلامية / محمد علي التسخيري / رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية / ص ١٢٥ – ١٢٦ – ١٢٧ /١٩٩٨ / إيران – طهران .

الإسلامية التي تعبر عنها مجموعة آفاق سياسية وحضارية عبر عنـــها السيد الرئيس محمد خاتمي كدلالات هامة من أجل توطيد دعـــائم الدولة الإسلامية في إيران .

****

٣- الرئيس خاتمي دور جديد للتنمية و الحرية

تحتل إيران في نهاية القرن العشرين مركزاً لا يستهان به في الخريطة الجيوسياسية والصراع السياسي والاقتصادي العالمي والإقليمي على السواء ، ذلك أن الجمهورية الإسلامية نجحت خلال فترة قصيرة لأن يكون لها موقعاً مرموقاً في ساحة الصداقة والأخوة العربية والإسلامية ، وبالتالي في ساحة خصومها في العالم المتمدن الرأسمالي الاحتكاري ، إلا أن المفاجئة التي أظهرت حقيقة الجمهورية الإسلامية وبالتالي آفاق الجمهورية الإسلامية في نهايات هذا القرن هي الحركة والنشاط المتغير الذي يحمل جوهراً استراتيجياً حضارياً لفهم العالم بشمولية وبالتالي كيفية فهم الثورة الإسلامية ودورها داخلياً وخارجياً في عالم يزدري الضعيف ويحاول السيطرة عليه وإزاحته عن الطريق وضمن سياق ما تطرحه واشنطن وغيرها في إطار نظام عالمي جديد بقطب ورأس واحد تلك المفاجئة تمثلت ببروز شخصية متمكنة مثل الرئيس محمد خاتمي وبرامجه الجديدة في إعادة بناء إيران من الداخل وما دمرته حرب السنوات الثمان والدور الاقتصادي المنتظر والسياسة الخارجية اتجاه الاتحاد الأوربي والولايات

المتحدة ، وبالتالي الدول المجاورة وخاصة تجاه العراق ودور إيــران في حل أزمة الشرق الأوسط في لبنان وتأييد الحل الشامل، وقد جـلء إلى سدة الرئاسة بعد أربعة من الرؤساء الإيرانيين أبو الحسن بني صــــدر وشهيد رجائي والسيد علي خامئني وهاشمي رفسنجاني حيث جـــاء انتخابهم في غمرة انتصار الثورة الإسلامية ضد نظام الشاه واختـارت إيران النظام الجمهوري الإسلامي برؤية قائد الثورة الإمام الخميني .

ولعل تغير الأسلوب الخطابي وسياسة التغيير فعلــت فعلــها في الجماهير الإسلامية الإيرانية لانتصار الرئيس الديناميكي – الجديــــد رغم أن الرئيس هاشمي رفسنجاني كشخصية لعبــت دورا هامـــا في تاريخ إيران الحديث عمل على أن يكون هنالك إعادة البناء كمعادلة حضارية داخل المجتمع الإيراني ، والتغيير لا يعني حدوث انقــلاب في الثوابت إنما هي عملية تحديثية وانطلاقة جديدة لإيران نفسها بدايــة عام ٢٠٠٠ مع أن مرشد الثورة آية الله خامنئي بعد ١٩٨٩ له دوره المميز أيضاً في التأثير علـــى مجريـــات الأمـــور في إيـــران بتعاونــه الاستراتيجي مع رئيس تشخيص مصلحة النظام في إيران لإبراز إيران بوجهها الحضاري الشرقي .

والرئيس محمد خاتمي هل يقود إيران إلى طريق واضح المعـالم ؟
هذه الشخصية السياسية الدينية والفكرية المرموقة شـقت طريقـها لتكون الربان الذي يقود السفينة الضخمة في بحـر مـن الأزمـات والصراعات والتدخلات السافرة في منطقة الخليج ومحاولات احتلالـه للسيطرة عليه للابد لعدة اعتبارات يعرفها الصغير والكبير في منطقتنـا الإسلامية والعربية حق المعرفـة إلا أن الدقـة والحكمـة والرؤيـة الموضوعية المتمسكة بذكاء سياسي مهم بدأ محمد خـاتمي دوره وان كانت هامبورغ لمدة سنوات تشهد له بدوره مع كبار رجال الدين ، ومسلمو ألمانيا يدركون من هو محمد خاتمي الذي عرف عن قـرب الحياة الغربية ومفاهيمها الأساسية وجوانبها الاقتصادية والاجتماعيـة عداك عن مفاهيمها السياسية الميكافيلية دون أن يخرج مـن ثوبـه وفكره بل كان دائماً رجلاً حضارياً منفتحاً غير منغلق أو متحجر.[١٢]
ذلك أن الروح العقلانية التي تحمل رؤية شمولية وعلمية للأمور غـير تلك الروح اللامعقولة المنغلقة على نفسها ، وفي كتابه (بيم مـوج)

---

[١٢] انظر شؤون الأوسط : العدد ٦٤/آب/١٩٩٧- إيران في عهد الرئيس خاتمي / ياسين مجيد /ص٧٥

كتب السيد رئيس الدولة الإسلامية الإيرانية بما يتجسد بالواقع أهم مشكلة تواجهها ثورتنا وتستحق منا الاهتمام هو تضادها الجوهري مع ما يدور في العالم والأصول الفكرية له والأهداف المبنية عليها الثورة الإسلامية متعارضة مع الأصول والمباني الفكرية للعالم الذي يلهث وراء الرأسمالية العالمية واستتراف العالم النامي واستهلاكه والتعارض القائم هو أمر طبيعي والبعض يعتبر هذا التعارض مشكلة لا بل ومشكلة جوهرية.

يعتقد السيد محمد خاتمي ككاتب ومفكر[١٣] أن الفكر يبدو قد شاخ وهرم إلا انه مازال قويا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعدا عن ذلك قوته العسكرية التي لا يستهان بها وبما يملكه من وسائل استمرارية حياته وقدرته الإعلامية التي تمنحه القوة بالكذب والتضليل وبفضل ذلك يتحكم الغرب بالعلاقات الاقتصادية العالمية هذه الرؤيا السليمة تنظر للأمور ليس من منظار رغباتنا وإيماننا ومصالحنا نحن بل تنظر للأمور من خلال المعرفة الدقيقة بما يملكه

---

[١٣] انظر كتاب / د. محمد خاتمي / بيم موج / المشهد الثقافي في إيران دار الجديد / ١٩٩٩ / بيروت ص ٢٢ – ٢٣ – ٢٤ – ٥٤ – ٥٥ .

ويمارسه الخصم في حربه السرية والعدو في ممارساته الخطـــرة عـــدو قوي ، لا يتراجع بسهولة يستخدم كل إمكانياته الماديـــة والمعنويـــة وكل ما يتوفر لديه لإرغام الشعوب والدول علـــى الـــتراجع عـــن مواقفها المستقلة لصالح الإقرار بدور الإمبراطورية المالية والعســـكرية للولايات المتحدة . مع عدم المساس بمصالحها المتعددة وتجد واشـنطن في المؤسسات والهيئات واللجان الدولية ضالتها لتطبيـــق سياســـاتها المدروسة بشكل أكاديمي خاص للتأثير على الدول والشعوب وضرب بعضها ببعض تحت شعارها الاستعماري الدائم (فرق تسد)؟!

والفرق أن الشعوب والدول الوطنية المستقلة في العالم تسعى لأن تبقى شمس الحرية ساطعة على بلادها وأراضيـــها بينمـــا واشـــنطن وأربابها يريدون أن تبقى الشعوب والدول دائرة في فلك مظلم مـــن التخلف و الجهل والسحر والشعوذة والأكاذيب كي تبقـــى هـــي وأعوانها المهيمنة . وشعوب الشرق العربي والإسلامي قبـــل الثـــورة الإسلامية في إيران وبعدها تدرك بأحاسيس وطنية ودينية عميقـــة أن الإمبريالية والاستعمار يتفننون في المؤامرات والدســـائس وصناعـــة الأكاذيب لأن هدفهم كان دائماً تسخير وإخضاع إرادة الشـــعوب

ونهب الثروات والموارد وطاقات العمل والاستثمار لمنافع استعمارية من جهة ولهدف التخلف الاقتصادي والاجتماعي من جهة ثانية في سبيل تأمين مصالحهم الوحشية وهنالك عشرات الدول والشعوب الذين لاقوا الويلات والجوع والتخلف والمرض نتيجة سياسة النهب الاستعماري ونتيجة العقليات المنغلقة التي لا تريد رؤية الأمور إلا بمنظار واحد ووحيد منظار الحاكم المتغطرس .

إذاً الفرق كبير في أن تنطلق إلى الحرية والشمس ورؤية الأمور من عدة جوانب وتعطي الحرية لملايين الناس وبأن تكون قادرة على التفكير والتعبير والعبادة والإسلام التنويري يوفر لمريديه الحصانة الفكرية والنفسية والعاطفية والعقائدية ورغم ذلك فإنه لا يعني تحصين النفس وإغلاق عقولنا وأنفسنا بسور كبير مثل سور الصين ؟ نحن في العالم العربي والإسلامي نتمنى أمنية عاطفية وروحية لكنها لا تخرج عن نطاق تحكيم العقل في أن تكون راية السيد حجة الإسلام محمد خاتمي مبعث أمل كبير لأن تكون الجمهورية الإسلامية مركزاً حضارياً ليس روحياً ودينياً وثقافياً بل وفيها المضامين والمدلولات الإسلامية الروحية وأيضاً دولة قوية قائمة على قاعدة سياسية

واقتصادية متينة ومستمرة واسعة تواجه وتماثل دولاً كبيرة مثل اليابان وألمانيا وغيرهما في الاهتمام بالبنى التحتية على أساس التصنيع القوي القادر على إيقاف المارد الإسلامي في إيران على أقدام قوية في مختلف جوانب الحياة ليس في مجالات التنمية السياسية الاقتصادية أو التنمية والأعمار أو في بناء المؤسسة الدينية أو بناء الجانب المهم للقيم الروحية والإيديولوجية بل لابد من تعبئة الجهود على أساس شمولي روحي وتنموي اقتصادي وإنمائي بعيداً عن الرؤية المتطرفة لأن الدولة الإسلامية تحتاج إلى أقدام قوية سياسية واقتصادية وثقافية وروحية متماسكة جداً فضلاً عن قوة دفاعية استراتيجية يهابها الخصم المستعمر والمتربص بخيرات وموقع إيران الاستراتيجي الهام .

مع كل يوم يمر على العهد الجديد في إيران تظهر هنالك ملامح جديدة من المشهد الداخلي الذي يسعى فيه الرئيس الإيراني إلى رسم سياسة داخلية قائمة على الإصلاح السياسي وانتخابات مجالس البلديات والتغيير ليس في الأمور الشكلية التي أعلن عنها كترع الألقاب المبجلة في التخاطب وغيرها بل للبدء بالتحضير لانتخابات تعددية في المدن والأرياف والمحافظات في إشارة واضحة على الحالة الديمقراطية (الشورى) وتوزيع السلطات التي ينص عليها

الدستور وموقفه الشخصي من المسائل العالقة داخل إيران :

١. دور المرأة المسلمة في بناء المجتمع الإيراني والمساواة بين الرجل والمرأة .

٢. مشاركة الإنسان الإرادية والواعية في مسألة التغيير والحرية والتنمية .

٣. مواجهة المأزق الاقتصادي الداخلي بأسلوب التنمية الاقتصادية الحديثة.

٤. تمتين الوضع الداخلي على أساس تقوية وإقامة جيش قوي لمواجهة التهديدات التي ركز عليها خاتمي وأنها تتمثل بالأساطيل الأجنبية ودور كلٍ من تركيا وإسرائيل وإضافة إلى اعتبار إسرائيل العدو رقم واحد .

٥. إيجاد الأجواء المناسبة واللازمة لتبادل الأفكار وتعزيز موضوعات البحث والدراسة العلمية في إيران .

٦. مواكبة التحولات السريعة في العالم والانتقال من مرحلة جمع المعلومات إلى مرحلة تطوير المعرفة في المعاهد والجامعات الإيرانية وضمان تنوع المصادر العلمية والتقنية .

ومحاولات حلها بشكل جماعي بوحي واضح من الدستور

نفسه الأمر الذي جعل المشهد الثقافي والأدبي والفني يـــأخذ حـــيّزه واستلام الكفاءات لمواقعها في الثقافة والإرشاد القومـــــي وتفعيـــل الأجواء السياسية في القاعدة الشعبية وبالأخص بين الطلبة وتنشـــيط المجتمع المدني وقاعدته والتحول الجديـــد والملحـــوظ في الخطـــاب السياسي المدني الذي يقوم به خاتمي نفسه حينما خاطب السيد نبيـــه بري رئيس حركة أمل اللبنانية أن إيران تريد أن تتعامل مـــع لبنـــان كدولة قوية ذات سيادة متعددة الطوائف تتعايش فيها كل الفعاليـات والثقافات وتدافع عن لبنان كرجل قوي واحد في مواجهة العـــدو الصهيوني المحتل لأراضيه ، هذه الرؤية تعبر عن عمق فكري وسياسي سينعكس على المجتمع الإيراني نفسه .

والبعض كتب في الصحافة العربية وغيرها أن هنالك حالة مـن التحديد في إيران تشبه إلى حد ما "غلاسنوست–في الاتحاد السوفيتي" ورغم أن الحالة مختلفة بشدة لأسباب عديدة إلا أن الرئيس خـــاتمي شخصية عصرية يعرف ماذا تريد بلاده ، من مواقع المواطن العـادي والشعب والدولة ككل فالمسألة الرئيسية في برنامجه تتمحور حـــول أهمية الدستور في الجمهورية الإسلامية الإيرانيـــة وأهميـــة القـــانون وأصول المحاكمات القضائية هي امتداد للحالة الثورية التي قـــامت في

فترة محددة و لم تنته وبين توطيد الثورة و دولتها والحالة المدنية الـــتي تأخذ بممارسات الكبير قبل الصغير من منظار القانون والدستور ضمن تلك الحالة الثورية والدستورية ولعل اختيـــاره لأعضـــاء حكومتـــه الجديدة الأولى يعكس مقدار اهتمامه بالهموم والمصالح والتطلعـــات المتجددة للمجتمع والشارع الإيراني وإطلاق حرية الفكر والــــرأي والحريات الفردية وإعادة تفعيل دور الرأي العام في صياغة القــرارات عبر القنوات الانتخابية وتقرير مصير كل قضية من قضايـــا المجتمـــع الداخلية والخارجية برؤية فيها الكثير مــــن التدقيـــق والموضوعيـــة وبالأخص انتقاداته اللاذعة للموظفين في الأجهزة الأمنية والعمليـــات التي خططوا لها للاغتيالات الجديدة في إيــــران لبعـــض المفكريـــن والكتّاب.

واعتماد رؤية جديدة قائمة على الأسس الدبلوماسية والحـــوار والعلاقات الدولية المنفرجة والمتكافئة لا تكون فيها إيران بادئة في أيـة خصامات أو عداوات ما لم تهدد في إرادتها ودورها وجوهرها الديني واستقلالها.

وقد كانت عملية اختياره للوزراء الجدد في حكومته خيـــاراً وسطياً معتدلاً اعتمد على الكفاءات الشخصية والقدرات التي لهـــا

خبرة سابقة في الدولة مع اعتماده على مجموعة من التكنوقراطيين المؤيدين لسياساته مع دقته في وضع الحسابات الداخلية في موازين القوى موضع المطمأن ، وهذا الشيء يذكرنا بالزيارة التي قام بها السيد محمد خاتمي قبل أن يكون رئيساً لمقر مرشد الثورة علي الخامنئي طالباً الموافقة الضمنية على ترشيح نفسه مع رفض آية الله علي خامنئي مرشد الثورة الإسلامية استقبال المرشح الأول (مير حسين موسوي) الأمر الذي سمح للسيد محمد خاتمي من التقاء فعاليات سياسية ودينية وفكرية إضافة إلى لقائه مع أنصار الرفسنجاني تأكيدا لدوره الوسطي الحيادي لكسب الرهان الشعبي الواسع وكان قد زار منطقة (خوزستان) التي يسكنها العرب الإيرانيون وخطب فيها باللغة العربية تأكيداً على أنه من المهتمين بمنطقتهم وهم في رئاسته المقبلة وعلى ما يبدو استطاع السيد محمد خاتمي من خلال حياته في ألمانيا ثلاث سنوات في هامبورغ وأربع سنوات في العمل الأكاديمي الفكري وبتحديد ما يريده جعله يحصد ما زرعه ليس في ألمانيا فحسب بل وفي أوربا الغربية أيضاً وتمكن من وضع الحصان أمام العربة في الثورة الإسلامية فهل يتمكن المضي بالعربة بقوة وبثقة إلى معابر وطرق يكون فيها القائد الرئيس والموجه المفكر المتجانس

والمنسجم على المسرح السياسي بموازين قوى داخلية يتم فيها تحديده للخصم وكسب اكبر مساحة للثقة به[١٤] ؟!.

هذا الشيء يجعلنا نعي نوع المعادلة على اعتبار أنه يفترض في السياسة الخارجية لدولة إقليمية مثل إيران أن تكون مرآة للتحولات الداخلية وأن تخدم في التحليل النهائي أهداف خطة تنموية وإصلاح شاملين . المعطيات والمناخات الجديدة التي ترافق عملية انتقال السلطة من "الجمهورية الثانية " إلى "الجمهورية الثالثة "بدأت تنعكس فعلاً عن طريق وأساليب معالجة الملفات السياسة الخارجية الإيرانية بطرق جديدة فيها حنكة سياسية واضحة بحيث يمكن الحديث عن تطور نوعي في الأداء الدبلوماسي لحكومة الرئيس خاتمي[١٥] .

ومن الواضح أن نقاطاً جوهرية برزت على ملف العلاقات الخارجية بين إيران والدول المجاورة لها :

أ. تطور العلاقة والتعاون بين إيران وسوريا بشكل كبير جسدته زيارات متبادلة على المستوى الرفيع بين الدولتين .

---

[١٤] انظر مجلة الوسط /بادمشيان/ العدد ٣٧٦/١٢/٤/١٩٩٩/ص٢٤/٢٥/٢٦

[١٥] انظر مجلة شؤون الأوسط / مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتدقيق / العدد ٦٦ تشرين الأول ١٩٩٧ ص٤ إيران والتطبيع المزدوج / ميشال نوفل .

ب. علاقات هامة بين إيران ومجلس التعاون الخليجي .

ت. تأييد قضية السلام العادل والشامل في المنطقة سلاماً لأبناء فلسطين (المسلمين والمسيحيين واليهود) . وبالتالي دعم المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الصهيوني في جنوبه .

ث. تعزيز أجواء العلاقات السلمية بين إيران والمملكة السعودية.

ج. دور إيران في نزع فتيل الحرب بينها وبين باكستان .

ح. دور إيران في نزع فتيل الحرب بين تركيا وسوريا .

خ. تطور العلاقات الإيرانية المصرية .

د. الموقف الإيراني المنسجم مع المواقف العربية تجاه الولايات المتحدة وتصرفاتها العدوانية وتجاه قضايا المنطقة .

****

٣- دور إيران في مواجهة التحولات العالمية ومنظومة " العولمة "

عند الولوج في تحليل معا لم النظام العالمي - الجديد ، بات من المعروف أهمية التدقيق في كيفية التعامل مع مفرزات الصراع السياسي العالمي بعد الحرب الباردة وانهيار منظومة الدول الاشتراكية، وتمادي سياسة النظام الرأسمالي العالمي ، نظام الاستكبار والهيمنة ، الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية بكل إمكانياتها وعدم الاستهانة بكل ما يجري ، أكان على الصعيد الفكري والروحي والأيديولوجي أو على صعد التكنولوجيا المدنية والعسكرية ، وبالتالي تمدد حلف الشمال الأطلسي ، والتخطيط لغزو أوروبا الشرقية عسكرياً من البوابة اليوغسلافية ، وتحطيم أي أمل لوجود تجمعات وكيانات إسلامية في وسط أوربا وإذا كانت الصهيونية العالمية قد لعبت دور مميز قبيل وبعد الحرب العالمية الأولى لمساندة الإمبراطورية العثمانية لتقسيم أوربا الشرقية وتوتير أجواء البلقان من خلال حربها هناك في كرواتيا والبوسنة والهرسك والجبل

الأسود من خلال الملياردير - اليـــهودي أفـــرام بنويـــا ، فـــإن- الإستراتيجية الأمريكية- الصهيونية تكمل سلسلة حربهـــا الســـرية والعلنية ضد منطقة البلقان بدعم ومساندة صريحة من حلف "النــلتو" بعد تشرذم وغياب " حلف وارسو " وضعف الـــدور الإســـلامي والعربي في مواجهة سياسة التطهير العرقي في كوســـفو والبوســـنة والهرسك وهشاشة الموقف الروسي ، بعد سلسلة تطورات خطيرة في العلاقات الدولية نهاية القرن العشرين واستمرار واشنطن فرض نفسها الشرطي الدولي والقطب السياسي الأوحد .

واللوحة السياسية في وسط أوربا تنعكس بجرياتهـــا علـــى المنطقة ، خاصة وأن الكيل بمكيالين الذي تمارسه الإدارة الأمريكيـــة بعهد بل كلينتون تعطي انطباعاً أن عملية السلام في الشرق الأوســـط باتت بين قاب قوسين أو أدنى ، وتمزقت عوامل بنـــاء الثقـــة بـــين الأطراف المعنية وعدم التقدم خطوة باتجـــاه المفاوضـــات الســـلمية كشكل غير عسكري من أشكال العلاقات الدوليـــة وهزالـــة دور راعيي مؤتمر مدريد للسلام وما نتج من تأزم ملحـــوظ في المواقـــف الإسرائيلية ودور رئيس الحكومة الإسرائيلية في وضع شروط مســـبقة

من عملية السلام قبل الولوج فيها رغم نقضه العملي لكل الاتفاقيات التيّ وقعت بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة اسحق رابين ، أو اتفاق واي بلانتيشن ودور المبعوث الأمريكي – الصهيوني " دينيس روس " في خلط الأوراق ، ودور وزيرة الخارجية الأمريكية الضاغط على السلطة الفلسطينية لتقديم تنازلات خطيرة للجانب الإسرائيلي بما فيها التنازل عن بنود هامة في الميثاق الوطني الفلسطيني ، والقدس ، وحقوق اللاجئين والاعتراف المسبق بحق الكيان الصهيوني بالوجود وإضفاء الشرعية عليه في وقت لا يزال مصير معظم الشعب الفلسطيني غامض وغير معروف حتىّ الآن وآخرها الموقف من إعلان الدولة الفلسطينية .

ورغم أن نظام العولمة الرأسمالية لا يتوانى عن فرض شروطه الإقليمية والعالمية لحل أزمة المنطقة إلاّ أنه لا يزال يدعم بلا حدود التصورات الإسرائيلية والامتداد الصهيوني في كل الاتجاهات والعواصم الأوربية والآسيوية والأفريقية مالياً واقتصادياً معتمداً على قرار سياسي وإداري أمريكي – أوربي كحلقة متسلسلة من حلقات

التبعية للدول والمؤسسات المالية والاحتكارية العالمية وبالأخص صندوق النقد الدولي بهدف فرض سياسة العولمة الجديد .

ولا ننسى الضغط الأمريكي على فرنسا وشركة "توتال" بحيث نجد أن قوانين "داماتو" الأمريكي لا يستثني حتى أصدقائه وشركائه وفرض الحصار عليهم إذا تطلب الأمر وهي قوانين أساسية من قوانين التنافس الاحتكاري التي كان لها أصداء هامة في أوربا والعالم ، ومحاولات ألمانيا وإيطاليا وفرنسا لعب الدور المستقل عن الإرادة الأمريكية ، للحصول على موطئ قدم لها بعد ازدياد النفوذ الأمريكي المنفرد بالمنطقة .

وإذا نظرنا إلى الدور الإيراني في شبكة اهتمامات نظام العولمة فإن إيران تلعب دوراً هاماً في رفضه ومحاربته رغم أن النظام العالمي الجديد وضع إستراتيجية خطيرة حدد فيها إيران والإسلام العدو الرئيس لها في سياستة اليومية والمستقبلية . الأمر الذي يجعل الصراع واضح وصريح أكان بالنسبة لدور إيران أم بالنسبة لدور الولايات المتحدة .

لكن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لها مواقفها الرافضة لمشروع العولمة وليس ذلك فحسب بل ولمشاريع متفرعة عنه ، وبالأخص مشروع الشرق الأوسط – الجديد الذي طرحه شمعون بيرز رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق ، وهي لا تقف ضد هذه المشاريع إلاّ لكونها ترفضها بدافع روحي وعقائدي مستندة على رؤية سياسية – إسلامية خاصة يصرح عنها زعماء الثورة الإيرانية والجمهورية ، وعلى الرغم من إدراك إيران وغيرها في المنطقة لخطورة نظام العولمة والشرق الأوسط الجديد الذي يمد زراعيه لتناول الهند وباكستان وأذربيجان وإيران ودول الخليج وتركيا في شبكة مصالحه ، فإن إيران والعراق لهما النصيب الأكبر في تلك السياسة الكونية لأنهما يحتلان موقعاً جيو–سياسياً لا مثيل له بالنسبة ليس لمصالح الولايات المتحدة فحسب بل ولمصالح "إسرائيل" والهادفان إلى محاصرة إيران والعراق وفقاً لسياسة الاحتواء المزدوج . لكن الجمهورية الإسلامية الإيرانية قادرة على الوقوف أمام تلك المعطيات والتعامل معها من موقع القوة والتأثير المباشر أكان في تأييد ودعم المقاومة اللبنانية في جنوب لبنان ، أو دعم قضية الشعب الفلسطيني،

ومسألة القدس الشريف ، ومساندة الموقف السوري والدفاع عن عروبة الجولان أو في تحسين ظروف تماسك وحدها الوطنية الداخلية.

أضف إلى موقفها السلمي من قضايا حيوية في الخليج باعتباره يمثل مركزاً هاماً لاستقرار وأمن دول المنطقة ككل ، ومن صالحها حل الخلافات الثنائية على أسس سليمة ، لكن توجيه الخطاب السياسي الأمريكي ضدها وإيهام دول المنطقة بأنها عدو رقم (١) لها يعني إرساء قاعدة لسياسة العداء ليس لإيران فقط وإنما للإسلام ، مع تغاضي البعض عن الدور الأمريكي الممارس اتجاه سياسة الإساءة للدين الإسلامي وخرق حقوق الإنسان العربي في الأراضي المحتلة واستمرار إسرائيل باعتداءاتها . ولا يوجد تعارض في اللوحة السياسية للمنطقة أكان في الخليج أو في الشرق الأوسط بين الأمن القومي الإيراني أو الأمن القومي العربي ، وميزان المصالح المتوازن فيهما يعطي القوة لمواجهة الخصوم ويخفف بعمق من إمكانيات بقاء التواجد العسكري الأمريكي[١٦] ، رغم أن جوهر

---

[١٦] انظر ، الفكر الاستراتيجي الأمريكي والشرق الأوسط في النظام الدولي الجديد / أحمد شكارة العدد ١٧٠ / نيسان ١٩٩٣ /ص (٥٤-٥٥-٥٦) .

السياسة الخارجية لنظام العولمة تمزيق وبعثرة وتهميش دول وشعوب المنطقة وإدخال البعض في الشراكة الأمنية والسياسية لا بل ودفع تكاليف باهظة للعمليات العسكرية وللوجود الأمريكي ، لذلك فإن سياسة الاحتواء المزدوج ، والأمن مقابل السلام كبديل عن الأرض مقابل السلام هو نسيج متصاعد تستخدمه واشنطن للتأسيس السياسي لنظام عولمة جديد ليس في المنطقة فحسب بل وفي أوربا الشرقية بعد مذابح يوغسلافيا الأخيرة والضعف الروسي حيالها .

وإذا كانت الولايات المتحدة وحسب دستورها وسياستها الخارجية تدافع عن الحرية والانفتاح الحر ، والديموقراطية ، واقتصاد السوق الحر ، وحكم القانون ، فإن نواياها تخرج عن الإطار المألوف الذي يدعم الاستقرار والأمن والراحة وإعادة توفير فرص البناء والأعمار والتنمية ، بل تفرض نفسها كشرطي دولي متسلط هنا وهناك تحت شعارات زائفة ، وهي المستفيدة الوحيدة من التطورات السياسية العالمية لا بل والمخططة لها ولا تعزز الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلدان والشعوب بل توتر الصراعات وتشجع على الأزمات والتبدلات الإقليمية لصالح عناصر حيوية في برامج العولمة

الذي تطرحه ، فضلاً عن آفاق الدعم السياســـي والاقتصــادي ، والعسكري لنظام الشرق أوسطي الجديد الذي تريده [١٧].

ولا شك أن نظام العولمة له أولويات خاصة به لابد مـــن التدقيق بها ومواجهتها بأولويات يتبعها من هم في الصف الرافــض كلية له ، والرفض لا يأتي بالرؤية العدمية للأمور بل بتفعيل المشاركة الجماهيرية الواسعة والاستفادة من برامج وقرارات هيئة الأمم المتحدة وبرامج حركة التحرر الوطني التي من مصلحتها مواجهة ذلك النظام، واستبعاد أي تعارضات بين حركة التحرر القوميـــة ، وحركـــة التحرر الإسلامي والتماسك النضالي وبكل الســـبل السياســية والفكرية ، وتجذير النظر للمسألة بشكل شمولي وبيرامج عمـــل حيث لا تكفي التحليلات والتوصيفات الجديدة وفي لبنان تظهر القوى الوطنية تماسكاً كبيراً لأجل الحفاظ على الوحدة الوطنيــة بوجه التعنت والصلف الصهيوني ، ولعل لبنان كما وصفها السيد خاتمي لوحة بديعة فعلاً لتوافق النضال ضد العـــدو المشـــترك ، وبالأخص دور المقاومة في الجنوب الصامد .

---

[١٧] نفس المصدر السابق .

لكن عندما يحاول البعض دراسة التحولات العالمية في نهاية القران العشرين ، ويبحث في مسألة العولمة فإنه يغرق بشكل لا مثيل له في متاهات فكرية وسياسية ، ليعود إلى السقوط في الشرك الإمبريالي وما ينسجه مفكروه من خيوط لإيقاع الآخرون بمستنقع المفاهيم والصيغ الجاهزة ، العدالة ، والحرية ، والديموقراطية ، ويتناسى هؤلاء التجربة الإنسانية ومنذ أكثر من مئة عام غنية بتناقضات وظروف لها أبعاد موضوعية وذاتية ، تظهر مقدار خصوصية كل بلد من بلدان العالم في اختيار طريق تطوره الاقتصادي والاجتماعي وأسلوب حياته ، وكل بلد من تلك البلدان حينما ينال قسطاً من الاستقلالية يدعي أنه يحقق ويؤمن المساواة والحرية والعدالة لمجموع المواطنين علماً أنه لا يمكن لأي دولة أو نظام مهما كانت أيديولوجيته أن يحقق كل ذلك لمجموع الشعب بل لبعض فئاته أو لأكثرية فئاته ، من منطلق أن الأغلبية هي التي تصحح مسار الاستقلال لصالح التطور الوطني، من هنا فإن موقع الثورة الإيرانية ودور الجمهورية الإيرانية في النظام العالمي الجديد لا يزال فتياً ، لم يأخذ الدور

الذي يجعله قطباً مواجهاً للإمبريالية العالمية وبالأخص الولايـــات المتحدة ، بل لا تزال إيران تتلمس طريقها لأجل أن يكـــون دوراً مهماً في التحول العالمي رغم الوضوح الكـــامل لاســـتراتيجيتها وسياستها الخارجية التي لا تزال تعتبر جزءاً هاماً من اســـتراتيجية الدول النامية ، والمؤتمر الإسلامي ، غير المؤثر بفعاليته العســـكرية والمالية والاقتصادية على لوحة الصراع العالمي ، وتخط طريقـــها باتجاه سياسات محددة يحددها آفاق فكرية وسياسية تنطلق مـــن المنطلق الإسلامي التي ترتكز على أسس وآفاق حددها مواقـف العديد من العلماء المسلمين والسادة الأفاضل حول دور الديـن في الوقت الحاضر ، ودور الإنسان في إدارة وتوجيه مصـــيره [١٨] أكان بين الدين والحداثة والتجدد ، وما بين الحكومة الدينيـــة ، والليبرالية وبين الدين والديموقراطية . وبالنظر إلى ذلك فإن الولايـات المتحدة تجعل من إيران والدين الإسلامي عدواً لدوداً لها في علاقتـــها الخارجية وسياستها بينما تدعم " إسرائيل " العنصرية التي قامت على

---

[١٨] انظر / مطالعات في الدين والإسلام والعصر / السيد محمد خاتمي/ دار الجديد/بيروت لبنان ١٩٩٩ ص ١١٤/١١٥

الهجرة اليهودية والدعوات التي لم تنقطع بعد بتجميع يهود العالم في فلسطين مستخدمة الدين اليهودي مطية لخدمة مآرب الصهيونية العالمية وتحالفها القبيح مع الإمبريالية الأمريكية التي تجد في إحداثها للمتغيرات الدولية ضالتها لضمان السيطرة على المنطقة لأجل غير مسمى ، وفرض النمط الأمريكي باعتباره نمط يحتذى به لا يمكن تجاوزه واتباع سياسة السيطرة والتدخل السافر لتطبيق النظم الليبرالية.

وإذا كان النظام الديمقراطي الليبرالي لم يكن ليشكل نموذجاً مثالياً لحل المشاكل التي تواجه البشرية ، فما هو إذاً البديل ، في رسم صورة المستقبل البديع للشعوب وإذا كانت الليبرالية بتجربتها الحالية قد قضت على " الملكية المطلقة " و " الفاشية " و " الشيوعية " ، فما هو إذاً التطور المنطقي للوجود الإنساني ؟ وإذا كان الأسلوب الرأسمالي في الدول النامية بمعظمها هو المتبع عملياً ، فمن سيحل قضايا الناس الطبقية والروحية الاقتصادية والاجتماعية ، وأي طريق ستسلك البقية الباقية التي لا تقف مع أي من الأيديولوجيات المعاصرة ، هل ستسلك النمط السياسي والأيديولوجي الواحد أم أن

أسس تطور المجتمعات البشرية يرفض ذلك النمط لصالح أنماط أخرى ليست إقطاعية ، ولا فاشية ، ولا اشتراكية فما هو الطريق الآخر الذي تسعى إليه ؟ لكن في ظل العولمة والتكنولوجيا وعصر الذرة لا مجال للتأملات لكن من خلال العودة قليلاً للماضي وقراءته ومنذ تحول الرأسمالية إلى نظام إمبريالي عالمي ، سنجد أن التاريخ لا تحكمه فكرة أو مجموعة أفكار أيديولوجية أو مجموعة أيديولوجيات بل التاريخ له قوانينه الصريحة والشعوب سعت وتسعى من أجل محصلات سياسية واقتصادية وثقافية تكون فيها بالموقع الصحيح أو في الموقع الخاطئ ، في إطار صراع سياسي عالمي لا يعتمد على رغبات وعواطف بل على أسس خارجة عن ميثاق الأمم المتحدة وأهمها القوة ، واحتواء الضعيف ، والسيطرة عليه ونظام العولمة يعتمد في السياق ذاته على النقاط الأساسية التي تبرز المصالح الحيوية للولايات المتحدة فقط، تلك المصالح التي تجعل إيران ، والصين ، وروسيا يقفون موقفاً معادياً للمصالح الأمريكية رغم اختلاف دياناتهم . والسياسة الأمريكية لا تعتمد على الحل السلمي في نشاطاتها الخارجية والتوافق الحضاري بل تعتمد على خطوط

تداخل وصراع الحضارات في نظام العولمة الجديد نظام شريعة الغلب الذي تؤكده معطيات تاريخية لم يكتشفها جهابذة العصر وكتاب العولمة الحاليون ، بل اكتشف تداخلاتها وآفاقها قيادات ثورية خاضوا المعارك الطبقية والشعبية في ساحات المعارك الحقيقية ، وكان برنامجهم واضح وسليم ، ولا تزال النظم الثورية موجودة في هذا العالم وتواجه الإمبريالية الأمريكية بكل روح واقعية وبدافع التعامل نداً للند وليس بإرخاء ستار التوافق والحوار معها إلى الحد الذي لا يمكن للولايات المتحدة التعامل مع كوريا الشمالية كما تتعامل مع العراق ، ولا أن تتعامل مع إيران كما تتعامل مع جزيرة في أمريكا اللاتينية ، رغم أنها تعاملت مع كوسفو مثلما تعاملت مع العراق وهنا بوابة نظام العولمة الذي دخلته واشنطن بالقوة العسكرية ، الأمر يحتاج إلى تمتين التحالفات الإقليمية والعالمية تجاه نظام النهب والسيطرة العالمي الذي يجسد في اللبرالية ومصالحها الكونية ضالته للانقضاض على مصالح الدول والشعوب ، لكن هل السياسات التحالفية تقدم أم تؤخر ؟ وعلى طول السنوات والعقود الماضية أظهرت الولايات المتحدة قدرة كبيرة في الحروب غير العسكرية

لتفكيك التحالفات المقامة ضدها واستندت على مجموعة مساندة لها، مؤثرة على الاقتصاد العـــالمي والعلاقـــات الدوليـــة ، والهيئـــات والمؤسسات الدولية ، حتى أنها استفادت من البعض المتردد والمهادن، في مختلف الأوساط الفكرية والسياسية وأوجدت المساند لها عوضـــاً عن أساليب الحرب النفسية والحرب السرية المتبعة ، ورغـــم ذلـــك تظهر الآفاق شخصيات سياسية وفكرية ومناضلة ضـــد السياســـة الكونية – الأميركية ، نيلسون منديلا، ودوره الذي يسعى فيه لتحرر الشعوب والدول وكذلك دور فيدل كاسترو في الجزء الغربي مـــن الكرة الأرضية ، ودور الرئيس الأسد في الشـــرق الأوســـط ودور الرئيس محمد خاتمي – الجديد الذي يجعله من الزعماء القادرين علـــى متابعة الدور الهام لإيران مع مجموعة أخرى من الـــدول الإســـلامية وغير الإسلامية لتوسيع إطار العمل الدولي ضد سياسات الولايـــات المتحدة المرفوضة تجاه الشعوب والكيل بمكيالين في المعايير الدوليـــة وقرارات الأمم المتحدة والخروج عن مجلس الأمن الدولي والأســـرة الدولية وفرض قوانين العولمة – الأمريكية وزيارة العلامة السيد محمد علي مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلـــى في

لبنان إلى كوريا الشمالية وفيتنام لها دلالات هامة لتضافر شعوب الشرق وآسيا بوجه سياسة الإدارة الأمريكية ، ولا يغفل الثوريون في العالم عن الدور الهام الذي قامت به شعوب آسيوية خلال فترة الحرب الباردة ، وإن كانت لها توجهات فكرية أو أيديولوجية مختلفة عن الإسلام ، إنما هم في خندق واحد أمام عدو واحد ، ولعل اعتماد سياسة المواجهة الجماعية والثنائية من مصلحتها المباشرة . والاستنتاجات التي توصل إليها السيد محمد خاتمي عن أزمة الحضارة المعاصرة وأزمة (المعنويات) تمثلت في حربين عالميتين ، " اعتمدت العقل الصناعي واعتبرته السبيل الوحيد للإنسان لاكتشاف العالم[19] "، وعلى أن مستقبل الأمم المتدنية التي تأخذ الدين مساراً لها في حياتها ومنظومتها السياسية والفكرية متعلق إلى حد بعيد في إيجاد حلقة الوصل بين التدين والحال المعنوية مع الاعتراف بضرورة حق الإنسان في تقرير مصيره بنفسه (لا إكراه في الدين ...) !.

والانطلاق الذي دفعت به عجلة الثورة الإسلامية في إيران

---

[19] مصدر سابق / مطالعات في الدين والإسلام والعصر ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

على الساحات السياسية والثقافية والروحية والاجتماعية أثر بعمق على أوربا وأمريكا والمجتمعات المسيحية ودفعها أيضاً إلى الاهتمام بالإنسان المسيحي في بلادها من منطلقات سياسية وثقافية وروحية أي بمعنى آخر دفع المؤسسة الدينية لأخذ دورها في ظل نظام العولمة –الجديد ، لكن هل سيقف نظام العولمة أمام اضطراد النشاط الديني المسيحي والإسلامي موقفاً حيادياً ، لا شك أن المسيحية – الصهيونية تلعب دوراً كبيراً في غزو العقل المسيحي لتهويده ، لكن هل تستطيع الصهيونية غزو العقل الإسلامي – لتهويده ؟ بالطبع لا ، لأن الثورة الإسلامية محصنة تماماً من هذا الشيء والمسيحية الكاثوليكية تلعب دوراً هاماً في مواجهة البروتستانت وسياسة الأغنياء مالكي رؤوس الأموال والصناعات ومحركوا السياسة في العالم الرأسمالي – الحر ، وهنا تكمن معادلة تحسين مستويات التحالف والأسناد رغم ضراوة الصراع الحضاري ، وفي محاولات التخفيف من حدته إلى حوار حضارات والطاولة المستديرة لتفهم العالم الإسلامي أكثر .

لذلك هنالك أولويات هامة بالنسبة لنظام العولمة في تعامله

مع خصومه وهنالك بالتالي أولويات في تعامل خصوم نظام العولمة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

- أولويات نظام العولمة :

أولاً : هدف تحطيم المعسكر الشرقي نهائياً وتحويله إلى مجموعة دول والسيطرة عليه واحتلاله وضمه إلى حلف الناتو العسكري وبالتالي الاستفادة منه اقتصادياً وبشرياً وجغرافياً.

ثانياً : هدف غزو القلعة الشرقية – الخصم اللدود للرأسمالية في روسيا نفسها واحتلال روسيا بشتى السبل المالية والاقتصادية والدعائية والتخريبية لعودة روسيا القيصرية – الجديدة .

ثالثاً : الاهتمام بنفط باكو وأذربيجان الحلم الذي جعل هتلر في الحرب الثانية العالمية يغزو الاتحاد السوفييتي من أجله ، وهاهي الولايات المتحدة وأعمدة أوربا الغربية ألمانيا فرنسا – بريطانيا يسعون لنفس الهدف إضافة إلى أهمية بحر قزوين لمحاصرة إيران والهند والصين .

رابعاً : دعم إسرائيل لكي يكون لها دور هام في التوسع الجديد نحو آسيا الوسطى إضافة لدورها في الشرق الأوسط ولعل

تحالفها مع تركيا – وحيدر علييف في أذربيجان يوسع من نطاق تعاونها في نظام العولمة – الجديد .

خامساً :محاصرة إيران وسوريا والعراق باعتبار أن لديهم استراتيجيات ونظم سياسية لا تروق للولايات المتحدة والتحرك الكوني الأمريكي .

سادساً: محاصرة الثورة الإيرانية – والجمهورية الإسلامية في إيران باعتبارها الخصم اللدود لسياسات الولايات المتحدة في الخليج والمنطقة ولأنها في منظومتها الفكرية والسياسية والروحية الجديدة تخلق حالة ثورية – إسلامية تعادي النظم الحليفة لواشنطن والداعمة لها ولأساطيلها وتدخلاتها بشئون المنطقة .

سابعاً : خلق عدو وهمي للولايات المتحدة **الأصولية الإسلامية** وتوجيه الوسائل الإعلامية والدعاية العالمية ضدها باعتبارها تمثل موقفاً متحفزاً لمحاربة الثقافة والغزو الثقافي الإمبريالي القائم على الأسس غير تلك التي ينادي بها الإسلام السياسي التنويري .

ثامناً : محاصرة دور الكنيسة في أوربا وأمريكا اللاتينية وآسيا باعتبارها تقف ضد طموحات العولمة ، وتستفاد الولايات المتحدة أيما فائدة من المسيحية – الصهيونية وتجعلها مطية لها للدخول إلى نظام العولمة من أوسع أبوابه[٢٠] .

تاسعاً : التحولات السياسية العالمية تفرض ثقلها بقوة على كاهل الشعوب المتأثرة بشدة منها ، ونظام العولمة وآفاقه لا يفسح مجالاً أمام العديد من التكتلات الإقليمية والقومية من إعادة ترتيب وضعها ، خاصة وأن بعضها لا يزال ينهج سياسة غير متناسبة مع تلك التحولات ، وهي بذلك تفقد مصداقيتها في اتباع استراتيجية متكاملة ، والتضييق على آثار التحولات أو إعادة صياغة ميزان القوى لصالحها والتجربة الواسعة التي اكتسبتها واشنطن وحلفاؤها تظهر مقدار دورها في فرض قوانينها المتعددة السياسية والعسكرية والثقافية بأساليب تظهر فيه الخصم بأنه دائماً ينتقص من

---

[٢٠] الدكتور عبد الحسين شعبان / قرطاجة يجب أن تدمر /صبرا /١٩٨٥/ ص ١٣ / من حقوق الإنسان إلى الإرهاب الدولي .

حقوق الإنسان ، وأن الولايات المتحدة حامية لتلك الحقوق وهو مدخل من مداخل التدخل بمصير الشعوب والـــدول ومحاولة إعادهما للحظيرة الأمريكية .

عاشراً : تركيز الإمبريالية الأمريكية والصهيونية في الصحافة العالميـــة ووسائل الإعلام المرئية وغير المرئية على اعتبار الحركـــات الإسلامية لا بل والأمة الإسلامية تقفـــان ضـــد العلمانيـــة والليبرالية ، في حين أن العلمانية والليبرالية في تركيا جعلـــت من حزب الفضيلة وزعيمه أربكان هدف كبير لها في حملتها لمعاداة الإسلام والمسلمين ، وليس ذلك فحسب بل ومنـــع الشعائر الدينية واللباس الإسلامي في الجامعات وحـــتى في البرلمان التركي ، وكذلك الأمر ينسحب على الممارســـات المعادية للشعب الايرلندي والكاثوليك من قبـــل اتجاهـــات متطرفة من البروتستانت داخل ايرلندا الشمالية وبريطانيـــا ، رغم الجهود المبذولة السلمية أكان في تركيا أو في ايرلندا .

ونظام العولمة الجديد وجد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ضالتـه في تشديد الحصار عليها ، وفيما بعد التخفيف من حدة الحصار بعـــد

زيارة الرئيس خاتمي إلى إيطاليا والفاتيكان ومقابلته لحضرة البابا في روما، وبالتأكيد أن تلك الزيارة شكلت ضربة قوية لسياسة الاحتواء الأمريكية، وأخرجت إيران من دائرة الحصار إلى دائرة علاقات أوربية – جديدة رغم الدعاية الغربية وتعبئة الرأي العام الأوربي والأمريكي بوضع إيران والدول الإسلامية باللون الأخضر على شاشات التلفزيون للاستفزاز السياسي [٢١] والأمة الإسلامية ، بالمليار إنسان التي تحتويه قادرة على النهوض بأعباء كبيرة ، والصحوة الإسلامية والعربية تأخذ أبعاداً سياسية وثقافية واقتصادية هامة جداً على المدى البعيد ، وخاصة أن تطور العلاقات الإيرانية – السعودية من جهة ، وتقدم العلاقات السورية – الأردنية من جهة ثانية بات يقلق الولايات المتحدة من آفاق الصحوة الإسلامية والعربية في المنطقة [٢٢] ، وتوظيف استراتيجية

---

[٢١] أحمد الموصلي / الأصولية الإسلامية والإرهاب / مؤتمر الفكر السياسي الإسلامي / دمشق ١٩٩٩/٣/٩ .

[٢٢] انظر أيضاً المحرر ، أيار ١٩٨٨/ص١٨/الخاتمية المصالحة بين الدين والحرية / محمد صادق الحسيني . انظر أيضاً كيهان العربي / ١٩٩٩/٥/٤ / الازدواجية الأمريكية .

التكامل في المواقف بوجه سياسة التحولات العالمية الخطيرة ، والحوار الحضاري جزء من الصراع الحضاري واســـتراتيجية لهـــا أبعادهـــا السياسية أيضاً باعتبارها تنطلق من قاعدة أساسها المنطلق الديمقراطـي والحضاري ، وتطوير أساليب المواجهة بروح سياسية عالية متمتعـــة بروح الإنسانية.

****

٥- مشهد العلاقات السورية _ الإيرانية

لعبت سوريا دوراً هاماً في علاقتها الاستراتيجية مع إيـــران منذ بداية الثورة الإسلامية ضد شاه إيران حيث ساندهما للخروج من دائرة المخططات المعادية للمنطقة التي كانت فيها إيران تمثل حجـــر زاوية في المخططات والتصرفات الاستعمارية المهيمنة على المنطقـــة . ووضع شاه إيران وعائلته البلاد في بوتقة منصهرة مع مصالح واشنطن والدول الاستعمارية للتآمر على دول المنطقة .

إلاّ أن الثورة الإيرانية شكلت منعطفاً تاريخياً هاماً في تـــاريخ إيران المعاصر ، وانعكاساته على المنطقة وتمكنت من تأسيس البعـــد الإنساني لنصرة وتحرير شعوب المنطقة في دعم المنظمات الفلســطينية في نضالها ضد إسرائيل بعد تحويل سفارة إسرائيل بطهران إلى مقـــر لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وداعية إلى الجهاد المقدس لتحرير القدس الشريف ومواجهة الصهيونية . وأكد الرئيس الأسد في عدة مناسبات أن سوريا وقفت إلى جانب الثورة الإسلامية الإيرانية منـــذ أيامـــها الأولى ، لأنها دعمت النضال العربي العادل وتصوراتنا تجاه قضايـــا المنطقة وفقاً للبعد الإقليمي والمصالح المشتركة . وتم تشكيل اللجنـــة

السورية الإيرانية المشتركة خلال زيارة الرئيس الأسد لطهران عام ١٩٩٠ هدفت إلى تقوية العلاقات في مختلف المجالات ، وتم التأكيد على أن تعزيز العلاقات بين الجمهورية العربية السورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية هو لخير الشعبين ومصلحتهما في تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة ومحيطها .

ولعبت سوريا أيضاً في تقريب وجهات النظر الإيرانية – العربية في الكثير من القضايا واحتواء مظاهر التناقض والصراع بين بعض الدول العربية وإيران وإيجاد قاعدة مشتركة للتفاهم والتعاون وكانت زيارة الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني لدمشق /نيسان/١٩٩١ أكدت على أهمية التعاون الثنائي بين سوريا وإيران وبالتالي تحقيق التعاون والبناء بين دول وشعوب المنطقة دون التدخل بالشئون الداخلية فيها وتحقيق الأهداف الأساسية المشتركة بين إيران والدول العربية في مواجهة المخططات الاستعمارية المعادية ، وبدأت مرحلة جديدة من التفاهم والتعاون بين إيران والدول العربية أيضاً بعهد الرئيس الجديد محمد خاتمي في مواقفه الواعية تجاه الدول العربية في الخليج والمنطقة .

وكان لقاء القمة الإسلامية بطهران عام ١٩٩٧ يشكل علامة بارزة في تحول العلاقات العربية الإيرانية تحولاً إيجابياً ضمن المؤتمر الإسلامي في المجال الأمني والدفاعي هي نفسها الضوابط التي تحكم أنشطة جامعة الدول العربية . وأن مؤتمر القمة الإسلامية بطهران عام ١٩٩٧ اعتبر قضية القدس هي قضية المسلمين الأولى وأدت لجنة القدس برئاسة العاهل المغربي الملك الحسن والسياسة السورية والمصرية ، والعربية دوراً مهماً في استصدار عدد كبير من قرارات مجلس الأمن ذات الفائدة للحق العربي في المدينة المقدسة ، ويتفق الملوك والرؤساء العرب مع إيران على أن البعد الأمني والاقتصادي للأمة الإسلامية كبعد استراتيجي هو الشرط الأساسي للحفاظ على الوجود والتطور نحو الأمام .

ولعل الدعوة المقدمة من السيد الرئيس محمد خاتمي حول بناء (نظام أمني إقليمي) في الخليج يعني بناء ركيزة هامة للثقة ويتطلب اتخاذ إجراءات ملموسة تطمئن إلى جدية هذه الرغبة وعدم استبعاد العراق عن هذه المعادلة الإقليمية . وظهر في المؤتمر أن إيران تلعب دوراً سياسياً إقليمياً ودولياً ممكناً .

وقد جاءت كلمة الرئيس حافظ الأسد في مؤتمر القمة الإسلامي بكل تفاصيلها لتؤكد على وضوح الرؤيا الاستراتيجية لسوريا لأوضاع المنطقة وأهمية تعاون الشعوب والدول العربية مع إيران باعتبارها باتت تمثل الآن مرحلة هامة بالتحرر من الظلم والفساد الذي كان سابقاً وهي تبني مجتمعاً مسلماً مزدهراً يكافح لدعم الشعوب في تقرير مصيرها ويمكن تلخيص كلمة الرئيس الأسد [٢٣]:

- أولاً : الحاجة إلى امتلاك إرادة مقاومة الأخطاء والتحديات المحدقة بالعالم الإسلامي والدول النامية وفي مقدمتها العدوان على بعض دولنا ومحاولات عودة الهيمنة الأجنبية وتهديد الاستقلال الوطني من جديد ومحاولة نهب الموارد والثروات الطبيعية ولابد من وضع آلية لتجعل من التضامن الإسلامي قوة كبيرة .
- ثانياً : غياب التوازنات الدولية وانعدام الضوابط على الساحة الدولية وغياب الديموقراطية الدولية واستخدام القوة والعنف

---

[٢٣] انظر الكفاح العربي / ١٢٧٠٥/ ١٩٩٧/١٢/١٢ – كلمة الرئيس الأسد في القمة الإسلامية بطهران ١٩٩٧ .

والتهديد باستخدامهما من قبل هذه الدولة أو تلك ، يسبب هذا الوضع قلقاً كبيراً لشعوب ودول المنطقة .

- ثالثاً : دفع الأخطار وتجنب الأضرار فيما تحمله التهديدات لقيمنا وطموحاتنا وحرمة أوطاننا .
- رابعاً : الحالة الراهنة في العلاقات الدولية حالة طارئة وتفتقد مقومات النظام الدولي الجديد ومنها اتفاق الدول في إطار المنظمات الدولية على قواعد المساواة والعدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها .
- ما يواجهه العالم الإسلامي من تهديد للقيم الروحية النبيلة وما يدعو إليه من خير (وأخوة وعدالة ومساواة) ويقف بعض الصهاينة وراء هذه الحملة المغرضة بهدف خلق عدو وهمي للدول الكبرى في الساحة الدولية مثيرة السخط والعداء للإسلام
- سادساً إننا عازمون على استمرار العمل والكفاح حتى نستعيد أرضنا كاملة فالسلام الذي يفرط في الأرض جزءاً أو كاملاً ليس سلاماً بل استسلاماً .

وقد كان في القمة الإسلامية الثامنة دور هام لكلمة الرئيس

الأسد ، وجاءت القرارات المائة والاثنان والأربعون قـــراراً لتندد بالإرهاب باسم الإسلام ، وبالإرهـــاب الإســـرائيلي الذي يحتل الأراضي العربية ودعوة الدول الإسلامية بقطــع علاقاتها العسكرية أو أية علاقات مع إسرائيل واحترام سيادة الأراضي العراقية وتجنبت ذكر عملية الســـلام والترتيبـــات الأمنية في الخليج وركز البيان على :

١. التضامن والأمن في العالم الإسلامي .

٢. بعث الحضارة والهوية الإسلاميتين .

٣. المشاركة الدولية " حيث شارك (**كوفي عنان**) في قمـــة طهران ودعوته لإصلاح هيئة الأمم المتحـــدة وأن يكـــون للمؤتمر الإسلامي دور أكثر فاعلية وإنصاف .

٤. تدعيم منظمة المؤتمر الإسلامي إقليمياً ودولياً .

٥. متابعة رئيس المؤتمر لتنفيذ قرارات مؤتمر القمة وبالتعاون مع **الأمين العام** لهيئة الأمم المتحدة .

كذلك فإن المؤتمر الإسلامي دعا بـــدوره إلى التنديـــد بـــالتطرف الإسلامي الذي لا يخدم المسلمين والإسلام بل العمل علـــى إجـــراء

حوار مفتوح وتفاعل وتفاهم بـين الثقافـات والأديـان وحـوار الحضارات والتنديد بالإرهاب وحض الدول على عدم توفير مـلاذ آمن للإرهابيين وأن قتل الناس الأبرياء محرم في الإسلام .

كذلك انطلقت العلاقات الإيرانية - السورية ، والإيرانيـة العربية من ضرورات هامة لتنسيق الجهود باتجاه الأهداف المشـتركة والقضايا الإقليمية والدولية المتفق عليها في البيان الختـامي للمؤتمـر الإسلامي . وكما أكد البيان على ضرورة تكريس الجهود للتضـامن والأمن في العالم الإسلامي باعتباره أولوية قصوى ومواصلة التشـاور بشأن تشكيل مركز للتعاون الأمني وكلف بذلـك فريـق الخـبراء الحكومي المشترك .

هذه هي العوامل والمسلمات الأساسية التي لا تربط المشهد في العلاقات السورية - الإيرانية فحسب بل وبالعلاقات الإيرانيـة- العربية في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة بوسائل داعمـة لثوابـت المؤتمر الإسلامي الثامن الذي انعقد في طهران عـام ١٩٩٧،حيـث لعبت كلمة الرئيس الأسد في مؤتمر القمة الإسلامية الثـامن ودوره المميز على تخفيف حدة التوتر بين إيران ودول الخليج والعمل علـى

الخروج برؤيا مميزة لإخراج الأساطيل الأجنبية بالأخص الأمريكية من منطقة الخليج وإقامة نظام أمني خليجي تشترك فيه دول المنطقة فقط.

ولا يمكن دراسة الدور الكبير العربي والإسلامي للرئيس الأسد في كلمات قصيرة ، ولا تتسع الدراسة لكل المواقف والمنجزات حيث تحفز الجماهير العربية في سوريا قيادتها على التمسك بثوابت الصراع مع العدو الصهيوني من أجل الحل الشامل والعادل وأن حوار الحضارات لا يعني مطلقاً اعتبار إسرائيل واحدة من نسيج دول المنطقة بأي شكل من الأشكال .

من ناحية أساسية فإن الصراع العربي الصهيوني يعتبر قضية العرب جميعاً وصار بعد الثورة الإسلامية الإيرانية حجر زاوية في سياستها الخارجية ورفعت شعار تحرير القدس الشريف . وقد أكد السيد عبد الحليم خدام نائب الرئيس الأسد أن العرب قرروا السلام خياراً مهماً وسورية قررت تبني عملية السلام خياراً لها ، والخيار العربي السوري للسلام مبني على أُسس الشرعية الدولية "سلام عادل وشامل " مؤكداً أيضاً على أن السياسة الإسرائيلية مبنية على التفوق

والهيمنة لإقامة إسرائيل التوراتية تسيطر على الأمم والشعوب التي تأتيها مستسلمة ولا ترفع السلاح بوجهها كما قال ذلك " أشعيا أحد أنبياء إسرائيل " .

والإسرائيليون فوق الوطن العربي والعالم الإسلامي ، والتحالف التركي مع إسرائيل يستهدف العرب وإيران والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى .

لقد أكدت سوريا على لسان الرئيس الأسد والقيادة السياسية في سوريا ، بما في ذلك كلمات نائب الرئيس السوري ، اعتبار العلاقة بين سوريا وإيران علاقة استراتيجية ، إلاّ أن الحوار بين إيران والولايات المتحدة في ظل السياسة الأمريكية الراهنة صعب لأن واشنطن تريد فرض شروطها على طهران وهذه الشروط تنسف مقومات الدولة الإيرانية والثورة الإسلامية ، الأمر الذي يظهر حقيقة الرؤية السورية العميقة تجاه فهم عوامل وظروف المنطقة على اعتبار أن هناك ثقافة مشتركة وهي الحضارة الإسلامية بين العرب والفرس وهناك قرون طويلة من المصالح المشتركة مع إيران ، والدولة الإيرانية تؤيد الحق العربي وتعمل على مساندته بكل إمكانياتها فهل نهملها

خاصة وأن سوريا تبحث عن أصدقاء لها في أنحاء العـــالم حـــتى في أمريكا اللاتينية [٢٤] .

وأكدت سوريا خلال حرب الخليج الأولى أن هذه الحرب خاطئة وستدمر كل من العراق وإيران وإن هدف المســتعمر دائمــاً إيقاع دول المنطقة ومحيطها بالعداوات المستمرة . ولاحظ العرب بعد عشر سنوات أن موقف الرئيس الأسد كان صحيحاً وسليماً ، وفي إطار الحوار العربي الإيراني يمكن حل كل المشكلات العالقة مع إيران [٢٥].

كذلك أكدت إحدى التحليلات التي قـــام بهـــا"ريكـــس براينين"[٢٦] إن استراتيجية " الاحتواء المـــزدوج " الـــتي اســـتهدفت التحديات المحلية " للعراق وإيران " تعرضت لانتقادات من جـــانب عدد من المحللين الاستراتيجيين الأمريكيين ، خاصة وأن تلك السياسة

---

[٢٤] كلمة السيد نائب رئيس الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام مع القناة الفضائية /دبي/ في ١٩٩٨/١/٢٧

[٢٥] نفس المصدر السابق.

[٢٦] تقرير سياسي / خاص / أصدره اتحاد جامعات مونتريال للدراسات العربيــة ، ويركز التقرير على سياسة الأمن الإقليمي للولايات المتحدة / نُشر التقريــر في بعض الصحف العربية راجع الملحق رقم (١) .

أخفقت في الاعتراف بالمصالح الأمنية الحقيقية لإيران في الخليج ، وأفرطت في تصوير التهديدات الإيرانية الذي تمثله على دول مجلس التعاون الخليجي ، لكن رغم ذلك ستبقى سياسة "الاحتواء المزدوج" السياسة الراهنة التي تتبعها واشنطن في الخليج مع دعم دول مجلس التعاون الخليجي ونقل السلاح لها لمساعدتها لشراء معدات عسكرية أمريكية بقيمة ٣٠ مليار دولار وأكثر ، على أن الارتباط التجاري والأمني اهتز بعض الشيء جراء تزايد المصاعب المالية للعديد من دول المجلس نفسه . كذلك فقد تحولت الكويت إلى مستودع للأسلحة الأمريكية خلال السنوات الماضية وبدأ التخصيص العسكري والأمني للكويت يأخذ حيزاً أكثر أهمية بالنسبة للمصالح الأمنية والعسكرية الأمريكية – والبريطانية في الخليج .

من الواضح أن المبدأ الإستراتيجي الأساسي للولايات المتحدة في الخليج هو حماية مصالحها وأمن أصدقائها وإبقاء النفط بحالة تدفق مستمر وبأسعار زهيدة ومستقرة عوضاً عن أن تكون السياسة الأمريكية مشرفة على السياسات الرسمية لدول الخليج .

لذلك فإن سوريا[٢٧] دعت مرارا دول الخليج إلى إعادة النظر بعلاقتها مع إيران وبالتالي حل المشاكل مع العراق من خلال الجامعة العربية وكان موقفها بذلك يتحدد في إطار انتقاد السياسة الأمريكية وتحليل مقدار الخطورة في التعامل بهذه الصورة مع واشنطن على مصالح الشعوب ودول المنطقة .

أهمية زيارة الرئيس خاتمي لسوريا أيار ١٩٩٩ :

جاءت زيارة الرئيس محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية لسورية في وقت كنت أعد فيه هذا الكتاب ووصلت إلى مرحلة متقدمة منه فقمت بإدخال هذه التعديلات في مشهد العلاقات السورية – الإيرانية حتى نتمكن من الاستفادة السريعة من أهداف ونتائج الزيارة وأهم الاتفاقيات الموقعة ، وبالتالي ما شكلته الزيارة من تطور في العلاقات الثنائية والعلاقات العربية مع إيران والتشاور حول العديد من القضايا ، فقد حرص السيد خاتمي في زيارته لسوريا على

---

[٢٧] انظر كلمة سيادة العماد أول الدكتور مصطفى طلاس / في ملحق الأسبوع الأدبي ٦٤٧/١٣/٢/١٩٩٩م نائب القائد العام ، نائب رئيس الوزراء ــ وزير الدفاع .

إطار التفاهم والتعاون والاحترام والصداقة المتينة على أنها كفيلة بتحقيق التوازن والأمن والاستقرار دون الاستعانة بدول غريبة عن المنطقة وأكدت الزيارة بما حملته على تعزيز أواصر الثقة وفتح آفاق متعددة من التعاون أيضاً بين إيران والمملكة العربية السعودية وقطر والإمارات حيث مثلت جولته في الرياض والدوحة تطوراً مهماً في العلاقات الإيرانية العربية .

لا شك أن دلالات زيارة السيد خاتمي (لدمشق والرياض والدوحة) تعبر عن حرص هذه الدول على الوصول لنتائج إيجابية لمعالجة قضايا المنطقة والعلاقات الثنائية والمحطة الأولى للرئيس خاتمي أبرزت مقدار الدور الفاعل والمهم لسوريا وإيران والمملكة العربية السعودية في استقرار وأمن المنطقة والحرص على دور منظمة المؤتمر الإسلامي لبناء قاعدة راسخة من التفاهم والتضامن الإسلامي وتطوير دور المنظمة تلك وبالأخص اتجاه القضايا العربية العادلة ، القدس العربية ، والجولان ، وجنوب لبنان والموقف من الكيان العنصري الصهيوني وممارساته العدوانية وسياسة الاستيطان التي يتبعها إزاء الضفة والقطاع وإزاء (القدس) . وتصعيد العدوان والحرب

على جنوب لبنان . والزيارة بكل تلك المضامين أعطـــــت المســـألة الجوهرية للصراع العــــربي والإســـلامي مـــع إســـرائيل أبعادهـــا الاستراتيجية، وزيارة السيد الرئيس محمد خاتمي للسيد الرئيس حافظ الأسد لدمشق تؤكد على أهمية التعاون الإقليمي الذي لعب دور هام في تراجع المخطط الصهيوني والأمريكي تجاه دول المنطقة والتقـــارب الإيراني – السعودي أو في التقارب السوري – الأردني . خاصة وأن القيادة الإيرانية تدرك بعمق أهمية دور سوريا والرئيـــس الأســـد في المعادلات الإقليمية والدولية وهندسة الصراع فيها ، ودعم موقـــف سوريا للدفاع عن الحقوق القومية العربية في تحرير الأراضي المحتلـــة وتعبئة الطاقات الإسلامية والعربية في مواجهة احتمالات المســـتقبل القريبة والبعيدة .

من هنا بالذات يستشعر القارئ العربي والإسلامي كيـــف استطاعت الثورة الإسلامية الإيرانية وبالتالي الجمهورية الإســلامية في عهد السيد خاتمي من توطيد دعائم الثورة الإسلامية منذ عام ١٩٧٩ ونهوض الشعب وقيادته فيها بمهام جسام لوضع إيـــران في الموضـــع الصحيح في الساحة الإقليمية والدولية ، وتجاوز شتى أنواع الضغـوط

وسياسة الاحتواء المزدوج ، وأدت دورها من أجل كسب الاحترام الدولي من خلال السياسة المنفتحة التي يقوم بها السيد خاتمي ونظرته السياسية في التركيز على حوار الحضارات وليس صراع الحضارات ، رغم أن العديد من له ملاحظات على تلك النظرة ، لكن جهود الأمة الإسلامية والأمة العربية في استنباط الأشكال السلمية في الصراع لا تنفي بالتالي الأشكال الأخرى للصراع . بل لا بد من الاستفادة من جميع الطاقات حسب رؤية تكتيكية واستراتيجية تتناسب مع الزمن وحالة الصراع الناشب وطبيعته في كل مرحلة .

لقد سعت سوريا بشكل دائم لكي تأخذ العلاقات العربية الإيرانية شكلها الطبيعي أكان على الجانب السوري أم على جانب مجلس التعاون الخليجي وفي مقدمته المملكة العربية السعودية ودور القيادة ووزير الدفاع الأمير سلطان بن عبد العزيز في تحسين مشهد العلاقات العربية – الإيرانية ، وللرغبة المشتركة للخروج من حالة الركود إلى حالة الفعالية أكان على صعيد العلاقات الثنائية أو على صعيد تطبيق القرارات الهامة التي أقرها القمة الإسلامية الأخيرة في طهران عام ١٩٩٧ لأن تطوير ذلك المشهد في مختلف المقاييس

السياسية والاقتصادية والثقافية والدبلوماسية وتحسين قنوات الاتصال يؤثر إيجابيا وعميقاً على التنمية والعلاقات المتعددة بين دول المنطقة وبما يعني محاصرة خطط ونوايا خصوم المنطقة ، لأجل تحسين فرص خلق نظام إقليمي يبدأ بمرحلة جديدة من الانفتاح والتعاون أكان مع دول آسيوية أو أفريقية أو مع الاتحاد الأوروبي ، ومن خلال البوابة السورية التي بدأها السيد رئيس الجمهورية الإيرانية لتحسين وتطوير آفاق التعاون مع الدول العربية كذلك نجح السيد محمد خاتمي في تحسين مستوى التنموي العالمي بالدخول من البوابة الإيطالية قبل فترة حيث سعت الولايات المتحدة إلى محاصرة دور إيران في المنطقة وخنق اقتصادها ، وتمكنت الجمهورية الإسلامية بفضل حنكة ودراية الرئيس خاتمي من إيصال رسالتها الإسلامية الحضارية إلى أوربا [٢٨] .

والعلاقات السورية الإيرانية رغم الضغوط الكبيرة التي حاولت التأثير عليها تمكنت تلك العلاقات من الاستمرار في مياه هائجة لكن على طريق التفاهم والتعاون والتنسيق

---

[٢٨] انظر الصحف السورية خلال زيارة الرئيس خاتمي لسوريا أوائل شهر أيار ١٩٩٩

الشامل تجاوزت الجمهورية الإسلامية في عهد السيد خاتمي كثيراً من العقبات وكان لاتفاقيات التعاون الاقتصادي مع سوريا والمملكة العربية السعودية والتطابق في الآراء علاقة بارزة في الخروج من تلك المياه .

ففي سوريا ختم الرئيس محمد خاتمي مباحثات مع الرئيس حافظ الأسد وتم التوقيع على العديد من الاتفاقيات من قبل حكومته ، وهي سبع اتفاقيات للتعاون المشترك في شتى المجالات الاقتصادية والسياحية والثقافية والقضاء والتعاون الجمركي ومجالات الصحة والتعليم وتقرر أيضاً بناء جسور التعاون من خلال مجلس رجال الأعمال السوري – الإيراني ودراسة أعمال مشتركة للمشاريع وشروط استكمالها وإتمامها .

كذلك فإن السيد محمد خاتمي طرح شعار " الإسلام يعلو ولا يعلى عليه " من خلال محاضرته الفكرية والسياسية الهامة التي أكد فيها أهمية الارتكاز على العقل باعتباره البنية الجوهرية للثقافة الإسلامية

والحفاظ على تراثنا الثقافي الحضاري الغني بما لـــــه مـــن أدوار مميزة في بلورة الحضارة المعاصرة[٢٩] .

****

[٢٩] انظر الملحق رقم /٣/ كلمة الرئيس محمد خاتمي في مكتبة الأسد أيار ١٩٩٩ إضافة للكلمة الهامة للدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة في الجمهورية العربية السورية .

٦ – زيارة الحريري لإيران ودلالاتها

حينما قام السيد رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني السابق بزيارة طهران ، علق السياسيون والصحفيون على أن تلك الخطوة تعتبر خطوة دبلوماسية تحمل دلالات سياسية متميزة في الظروف الحالية التي يتعرض لها لبنان ، وهي الزيارة الأولى من نوعها التي يقوم بها أول رئيس حكومة لبناني إلى طهران منذ عام ١٩٩٤ وكانت الزيارة بالنسبة للزعامة الإيرانية فرصة مؤاتية لإبراز الاهتمام الإيراني السياسي والاقتصادي بالعلاقات الطيبة مع حكومة لبنان وشعبه حيث وصف " **علي زاده "رئيس قسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في الخارجية الإيرانية** الزيارة التاريخية أنها تفتح الأبواب أمام ازدهار العلاقات الإيرانية اللبنانية خاصة وأن لبنان وجنوبه يعني الشيء الكثير بالنسبة للشعب الإيراني لاعتبار الترابط التاريخي بين البلدين وأكد الرئيس خاتمي ذلك حينما قال : (ليس في العالم مثل لبنان قادر أن يصبر أو يرسم لوحة القدر البديعة في تعايش الثقافات والطوائف والأديان وقد يكون المكان والموقع الأنسب لحوار المدنيات والحضارات مقابل مقولة تصادم الحضارات) الأمر الذي يطمئن لبنان حكومة وشعباً لعودة موقعه الطبيعي في العالم باعتباره جوهرة

يشع منها أريج الشرق الأوسط من شرق البحر المتوسط إلى العالم .
وأن موضوع التسوية الشرق أوسطية لا يمكن النظر إليه من خلال رغباتنا نحن بقدر ما نقيّم بشكل واقعي حقيقة دور وتصرفات الطرف الآخر خاصة وأنه لا سلام ولا أمن ولا استقرار في المنطقة مع وجود دولة استعمارية عنصرية تغتصب الحقوق والأراضي وتمارس شتى ألوان الحرب والتخريب وبقاء الشعب اللبناني رهينة للتعنت والتصلب الصهيوني وهنا فإن الحليف الإستراتيجي الإيراني لسوريا ولبنان معاً في المعارك السياسية والدبلوماسية ضد التصرفات الإسرائيلية المعادية وضد الضغوط الأمريكية يؤكد على العمل سوية من أجل محاصرة سياسة الحظر الأمريكي الاقتصادية والدبلوماسية ضد إيران ، ولعل تركيز المحادثات الثنائية على تثبيت اتفاقيات ثنائية بين البلدين بأسلوب التفاهم والحوار معتمدين على الصراحة التامة لإحداث حالة نوعية وتطور ملحوظ بينهما وخاصة في مجالات التعاون الاقتصادي وتطوير البنية التحتية للدولة اللبنانية من خلال تشغيل الكهرباء والطاقة وبيع إيران النفط للبنان وبالتالي ترتيب كل إمكانياتهما لمواجهة إسرائيل وتطوير العلاقات وتوظيفها لصالح الأهداف المشتركة إقليمياً ودولياً .

ومن الواضح أن لبنان يتسم بوضع شديد التعقيد بما يترك من آثار على طبيعة العمل السياسي والدبلوماسي فيه وترابط المسارين السوري واللبناني وأهميته وبالأخص حالات التوتر التي تستمر وتدفع بها إسرائيل ودورها في تأزيم الوضع وعدم الانصياع للقرارات الدولية وبالأخص قرار (٤٢٥) والمسؤولون اللبنانيون على مختلف الصعد لديهم الدوافع الموضوعية لتعزيز العلاقات مع إيران نتيجة الظروف الإقليمية والدولية التي تترك آثارها على ميزان القوى السياسي في المنطقة . وهنا لابد من ذكر دور السيد وليد جنبلاط في مؤتمر الدولية الاشتراكية ١٩٩٧/١١/١٠ الذي انعقد في نيودلهي حيث سجل الحزب التقدمي الاشتراكي تحفظه على موقف الدولية الاشتراكية من إيران وخاصة فيما يتعلق بقضية سباق التسلح النووي، وإدعاء الاشتراكية الدولية بأن إيران تسعى للحصول على المزيد من السلاح النووي الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من سباق التسلح النووي في الشرق الأوسط دون التعرض لترسانة الأسلحة النووية الإسرائيلية و ضرورة إزالتها والالتزام بمعاهدة نزع الأسلحة النووية في حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط وأن تحقيق السلام العادل والشامل يتطلب قبل كل شيء انسحاب إسرائيلي غير

المشروط من جنوب لبنان وعدم تهديد الأمن والاستقرار في المنطقة و استمرار الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان وقصف المدنيين والتهديد المستمر باجتياح المناطق الجنوبية أو قصف القرى اللبنانية في جنوب لبنان[٣٠] .

****

[٣٠] الشرق الأوسط ٩٧/١١/١٢/رقم ٦٩٢٤

٧- علاقات إيران الإقليمية ومصادر الخطر الحقيقية

شدد السيد محمد خاتمي برؤياه الشخصية النافذة على إعادة بناء الأولويات في السياسة الخارجية لإيران بعد الخلل الواضح لميزان القوى الإقليمي العسكري منذ حرب الخليج الثانية لصالح إسرائيل والولايات المتحدة وتركيا أي ليس لصالح دول الخليج والجوار الإسلامي وتبدأ المحاولات الاستعمارية المتجددة لتوتير الأجواء بين دول المنطقة غير منسجمة مع المواقف الجديدة لخاتمي وخاصة أنه في قراءته الأولية عمل على إعادة تقدير وترتيب أولويات إيران لخريطة موقعها في ميزان القوة الذي تحتاجه أساساً في علاقاتها في المحيط العربي أولاً والمحيط الإسلامي ثانياً والمحيط الإقليمي ثالثا والمحيط الدولي رابعاً.[٣١]

وسياسة حسن الجوار التي اتبعها خاتمي تتخطى علاقات التخبط والفوضى والعداء مع دول الخليج التي تريد لها الولايات المتحدة الاستمرار على الخط الذي تظل فيه موجودة لوقت غير

---

[٣١] انظر شوون الأوسط / العدد ٦٧ / تشرين الثاني ١٩٩٧ / المعادلة الإقليمية الجديد / غطاس أبو عيطه ص٣٩

محدود في الخليج ولعل دعوته لإخراج الأساطيل الأجنبية من الخليـج دعوة صريحة ورؤية ذكية لمصدر الخطر الحقيقي في المنطقة وإذا كـان الخليجيون قد تخبطوا في عدائهم للثورة الإسلامية الجديدة ومساهمتهم في زج العراق وجيشه وشعبه في أتون حرب خاسرة مع إيران رغـم التخوف العربي في الخليج من أن الإمبراطورية أيام الشاه لم تتغـير إلا بالشكل إلى إمبراطورية إيرانية جديدة إسلامية تريـد اجتيـاح دول الخليج والسيطرة عليها الأمر الذي تتحمله بعض الأفكار في الثـورة الإيرانية ذات الطابع الهجومي أو المتطرف من جهة وتتحمله علـى التوالي دول الخليج نفسها في دعم العراق مادياً ومعنوياً ضد إيـران وفيما بعد محاصرة العراق مع وكالة CIA والولايـات المتحـدة إلى يومنا هذا بعد حرب الخليج الأولى والثانية وفرض المراقبة الدولية غير المشروعة والمشروطة على أراضي ومؤسسـات الدولـة العراقيـة ومحاولات تقسيم العراق إلى كانتونات بهـدف زعزعـة اسـتقرار الشعب العراقي تحت حجج قلب نظام صدام حسين فيه ، ولا يمكـن الدخول في سجالات وملابسات عديدة اتجاه العراق ، إنما التدخـل الأمريكي السافر العسكري وقصف وقتل الناس بالآلاف هي حـرب عدوانية ظالمة لا تبررها مواثيق هيئة الأمم ولا مجلس الأمن وحالـة

التفرد الأمريكي مرفوضة كلية ، وأن شأن العراق داخلي في كل تفاصيل حياته، وإذا حاولت الـ CAI والبتاغون إزاحة صدام حسين عن السلطة كما حصل مع (نورييغا) في أمريكا الوسطى فإنها ستعد ظاهرة خطيرة في المنطقة العربية حيث ستتعاون بعض الدول مع الولايات المتحدة لإزاحة أي رئيس عربي بأسلوب شريعة الغاب ، ويعتقد أن إيران بعد الثورة الإسلامية وحكومة محمد خلقي تقف ضد هذه التصرفات النادرة في التاريخ الحديث من جهة ثانية لتشتيت وتبديد إمكانيات دول المنطقة ولا تزال منطقة الخليج تحتل مكانة مرموقة في الاستراتيجية الكونية الأمريكية تستنفر كل قواها في الحرب السرية والنفسية لتفتيت وتشتيت دول المنطقة وإبقاء العداء فيما بينها لا بل وإيجاد فرص جديدة أو تاريخية للعداء فيما بينها وإذا كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تسعيان لتقسيم العراق من الشمال أو الجنوب وتأسيس مناطق غير شرعية خارج سلطة النظام الشرعي بتوجيه ومباركة مباشرة من بريطانية والولايات المتحدة بهدف البقاء في المنطقة عبر بعض الزعامات القومية والدينية المرتبطة معها مثل (بحر العلوم – جلال الطالباني – مسعود البارزاني) في الوقت الذي تعادي فيه تلك الدول الاستعمارية الثورة الإسلامية في إيران وتسعى

إلى محاصرتها سياسياً واقتصادياً وكما هو حاصل في محاصرة السودان وليبيا الأمر الذي يكشف الشعار الاستعماري الصهيوني (فرق تسد) على طبيعته وهنا لا بد من التأكيد على أن ميزان القوى الإستراتيجي في المنطقة لا يمكن أن يتحسن لصالح إيران و العرب وعلاقات حسن الجوار بينهما بدون التركيز على قضية من أين يأتي الخطر الحقيقي على استقرار المنطقة ؟! وخاصة و أن أصابع إسرائيل و الصهيونية العالمية موجودة في التوترات الحاصلة وتتعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية لإبقاء المنطقة بؤرة توتر إقليمية تستدعي تدخل البنتاغون الأميركي دائماً بها تحت حجج إعادة الاستقرار إليها . في أيار من عام ١٩٩٣ أقترح السفير الأميركي في إسرائيل مارتن انديك نظرية "الاحتواء المزدوج " إزاء إيران والعراق ، ورأى أن هذه النظرية تؤسس للسياسة الأمريكية في منطقة الخليج وتكمل على التوالي سياستها إزاء الشرق الأوسط وعلاقة الشراكة القائمة مع إسرائيل . مؤكداً أنه خلال الحرب الباردة كانت الولايات المتحدة تشغل العراق بإيران ، والعكس تشغل إيران بالعراق وبدول الخليج ، ويرتكز التصور الأمريكي على ضرورة أن تبقى القطيعة بين إيران والعراق ، ونظرية (الاحتواء المزدوج) القائمة على احتواء

(تركيا – إسرائيل) ومنع قيام تحالف (إيراني – عراقي) في الخليج وتحالف (إيراني – عربي في الخليج) هذا ما كان يخطط له هنري كيسنجر ، وريتشارد مورفي وروبرت بيللتيترو وغيرهم وشكلت الولايات المتحدة و إسرائيل وتركيا عقبات كبيرة لكي تكون المنطقة في توتر دائم لا تستطيع رؤية خياراتها الصحيحة ، وإذا استطاعت إيران ودول المنطقة تحطيم نظرية الاحتواء المزدوج فإن عليها التأسيس لعلاقات إيرانية _ عربية وبالتالي إيرانية _ عراقية ومع الوسط الإسلامي في آسيا لإفشال مخططات واشنطن الاستعمارية .

الأمر الذي دعا إيران وعلى لسان أحد سفرائها الدعوة إلى تكتل إقليمي مع دول الخليج يحفظ أمن المنطقة ويوطد دعائم الأمن و الاستقرار والعلاقات فيما بين دولها ، وبأن تكون علاقات وثيقة من خلال رؤية شاملة لتحقيق أمن المنطقة ،هذا التحديد السياسي لطبيعة العلاقات دعا أيضاً الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران السعودي معلقاً ، أن التعاون بين دول المنطقة ضروري جداً وبالأخص في مجالات الأمن والاقتصاد وغيرهما قائلاً :

"نحن مستعدون كما قال السيد كمال خرازي وزير خارجية إيران لإبرام أي اتفاق يضمن السلام والأمن والاستقرار والعدل في منطقة حيوية " كمنطقتنا "من هنا برز الخطر الحقيقي على منطقة الخليج في أن دولها وشعوبها تريد المنطقة آمنة يتخللها السلام والطمأنينة والأمن وبالطبع هذه الرغبات والنوايا الرسمية والشعبية لا يمكن لها أن تطبق إلا بإخراج الأساطيل الأجنبية الأمريكية والبريطانية من المنطقة وليس ذلك فحسب بل وتفكيك القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية هذا الأمر يحتاج إلى مواجهات من نوع آخر في الخليج.

لا شك أن إيران يحسب حسابها في الميزان العسكري والاقتصادي على الساحتين العربية والإسلامية وعلاقات التعاون المشترك والتبادل للمنفعة المشتركة وحسن الجوار وتطور المصالح الإقليمية العربية الإيرانية — والسعودية الإيرانية يشكل حجر زاوية مهم على صعيد التعاون السياسي لإعادة العلاقات الإقليمية لمجراها الطبيعي المتوازن ، وقد جاءت زيارة وزير خارجية إيران (كمال الخرازي) للعاصمة السعودية (الرياض)

بـ ١٩٩٨/٣/١٤ لتحسين العلاقات بين البلدين وتسليم رسالة الرئيس خاتمي لولي العهد السعودي رئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز، والهدف من ذلك إزالة حالة التوتر والمشاكل وإزاحة العراقيل لأجل أجواء جديدة من الصراحة والاخوّة المتبادلة القائمة على الثقة المتبادلة أيضاً . وفي اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية في العاصمة القطرية (الدوحة) بـ ١٩٩٨/٣/٢٢ أكد السيد الدكتور كمال خرازي بكلمة أجاب فيها عن التحول الكبير في العلاقات بين إيران – والمملكة العربية السعودية ومجلس التعاون الخليجي لأجل تشكيل لجنة لتعزيز التعاون الإقليمي وإيجاد منطقة منزوعة السلاح ومحاصرة أسلحة الدمار الشامل وإدانة إسرائيل على امتلاكها ترسانة نووية وإيجاد معاهدة إقليمية لمكافحة الإرهاب الدولي ، وعلى أساس ذلك تم الاستفادة من قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي والعمل على إيجاد فضاء طبيعي من الاحترام المتبادل والتعاون لأجل :

أولاً – التضامن الإسلامي الشامل وبالأخص بين إيران – ومجلس التعاون الخليجي ، وتطوير العلاقات الإيرانية – السعودية .

ثانياً – العمل على دراسة التطورات الخطيرة لأزمة العمل الإسلامي والعالم الذي ينتمي إليه بتكريس العمل والنشاط لأجل حل مشاكل المسلمين في بعض البلدان بروح إيجابية .

ثالثاً – العمل على إيجاد لوحة أو نظام يستهدف منه حماية حقوق الإنسان المسلم في العالم الإسلامي برؤية عصرية كفؤة ، والعمل على مجابهة الدعاية المناوئة للإسلام في أوربا والولايات والمتحدة .

رابعاً – دعم الأقليات الإسلامية ونشاطها الديني والاجتماعي والروحي والاهتمام بها أكثر والوقوف ضد التصفية العرقية والدينية لها في بعض دول العالم ووضع وثائق قانونية وفقاً لمواثيق هيئة الأمم لحمايتها . كذلك لعبت زيارة السيد أكبر هاشمي رفسنجاني إلى الرياض بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٤ في نفس المجرى تحسين الأجواء السياسية والاقتصادية المتبادلة بإطار صريح من التفاهم والصراحة. حيث استطاع إعادة اللحمة الإسلامية وروحها إلى علاقات طيبة مع مقابلة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده رئيس الحرس الوطني وسعود الفيصل وزير الخارجية الذي أكد بكل روح إيجابية بأن :

((المملكة العربية السعودية على صعيد رسمي دعمت الحل الدبلوماسي بين الأمم المتحدة والعراق و لم تكن مع ضرب الشعب العراقي ....)) .

وإذا كان هدف الدبلوماسية السعودية التي يقودها شخصية ألمعية مثل السيد سعود الفيصل لتعزيز العلاقات الخارجية مع إيران فإن هدف الدبلوماسية الإيرانية التي يقودها السيد خرازي لها دورها أيضاً في دعم الأمن والاستقرار الإقليمي في الخليج ، ولعل هندسة هذه العلاقات ترجع إلى الرغبة المشتركة والجهود الحثيثة للخروج إلى وضع أفضل في مجمل العلاقات الإقليمية . والسيد خرازي أكد في الملتقى الدولي الثامن في طهران ١٩٩٨/٢/٢٤ على ضرورة تعزيز آفاق الصلات الإيرانية الإقليمية لإزالة التوترات المهيمنة على المنطقة وإيجاد قاعدة متينة للتعاون والثقة والاحترام المشترك في مختلف قضايا الخلافات لأجل فضاء أوسع وأرحب لتطور العلاقات الإقليمية بين دول الخليج .

ودولة الإمارات العربية المتحدة لها مواقف متعددة من القضايا الأساسية الإقليمية ودور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

رئيس الدولة على بناء فضاء واسع من الثقة وتفهمه لقضايا إقليمية بآفاقه الواسعة والمتزنة ، مؤكداً (أن الإمارات حريصة على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية) . ولها دور إيجابي في تحسين العلاقات الإقليمية مع إيران ، ومواجهة المخاطر الخارجية المشتركة التي تتمثل بالتسلح العسكري غير التقليدي الإسرائيلي باعتبار أن ذلك التسلح موجهاً ضد الشعوب والدول العربية وليس ذلك فحسب بل وعلى إيران التي يتهمها الغرب وإسرائيل بمحاولة تطوير استراتيجيتها الدفاعية وامتلاك القوة النووية .

وهنا فإن التنسيق والتعاون (العربي – الإيراني) و (السعودي – الإيراني) ضمن الأطر السليمة والتحرك الهادف لتطوير العمل المشترك وخاصة في وقت تطالب به شعوب ودول المنطقة بتحسين موازين القوة لصالحها ضمن سياسة واستراتيجية موحدة يكون أساسها حوار الحضارات ، والإرادات السياسية الواحدة لأن هدف الغرب كان ولا يزال تطويع المنطقة ليس في الخليج فحسب بل وفي الوطن العربي ويعمل على تشويه معالم الحضارة العربية والإسلامية في إطار ما يسمى (حقوق الإنسان)

و (ومحاربة الإرهاب) و (الديموقراطية) علماً أن الإسلام يعتبر من أهم المعالم الحضارية التاريخية التي لم تندثر كبقيـــة الإمبراطوريـــات والحاكميات التي طواها تراب الزمن ، ولعـــل الصحـــوة العربيـــة والإسلامية في زمن العولمة قد يخرج المنطقة برمتها إلى حالة جديـــدة من التحدي وممارسة سياسة استراتيجية لها آفاق ممـــيزة في القـــرن الحادي والعشرين ، والوقوف بوجه التحديات والتكتلات العالميـــة بكل تماسك ووضوح .

****

٨- القمة الإسلامية في طهران برنامج عمل جديد

في خضم الأحداث عام ١٩٩٧ برز اجتماع القمة الإسلامية الثامنة في طهران إذ اعتبرها البعض الحدث الأهم في نهاية القرن العشرين .

وجاءت القمة الإسلامية في ظروف وأحداث متتالية وسيناريوهات بذلت دول وشعوب المنطقة وعلى مستويات متعددة جهوداً حثيثة لإزالة مخاطرها وازدياد التحالف والتعاون الأمريكي الصهيوني التركي الموجه ضد سورية والعراق والتدخلات الأمريكية السافرة في السودان واللعبة الأمريكية والعدوان على ليبيا والجهود المبذولة حول قضية فلسطين وأعلن المؤتمر رفضه لجميع الاتفاقيات والمبادرات الانفرادية التي تنتهك الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في حق العودة وحق تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق تراب وطنه وعاصمتها القدس ، **وأن حل القضية المركزية في الشرق الأوسط يعني سلوك الخيار السلمي الصحيح** ، ودعوة الدول الإسلامية في القمة إلى الالتزام بمؤتمر دولي وحل المسألة على أساس قرارات الشرعية الدولية الصادرة عن هيئة الأمم واعتبار جميع المستوطنات الصهيونية التي تم إنشاؤها والتي سيتم إنشاؤها وخاصة مستوطن

(أبو غنيم) في القدس المحتلة إنما هي إجراءات استعمارية باطلة وملغاة وغير شرعية .

وتأكيد القمة على أن خطورة ضم الجولان وفرض القوانين الصهيونية العنصرية فيه وإدارتها على المنطقة من الممارسات غير القانونية والعدوانية ودعا لإدانة كل الممارسات القمعية والإرهابية ضد الشعب العربي في المناطق العربية المحتلة ، وهي مجموعة مهام سياسية تمحورت حول القدس الشريف وتشكيل صندوق عربي وإسلامي لدعمه بوجه سياسة الإرهاب والتهويد والاستيطان وتعزيز التضامن الإسلامي ، ودعم الشعوب المسلمة ودعوتها لاستثمار أموالها وفعالياتها التجارية ضمن الدائرة الإسلامية وتشجيع الاستثمار الاقتصادي ببلادها .

وقد أبرزت المعطيات السياسية أمام القمة الإسلامية في طهران أهمية التكتل الإسلامي وأهدافه في وجه التكتلات الاقتصادية الكبرى التي لم تبرهن يوماً على أنها تحمل نوايا تنموية حقيقية و لم توفر أسباباً حقيقية للنمو والازدهار في آسيا أو في أفريقيا وان إقامة تكتل اقتصادي إسلامي فعّال واضح المعالم يعني تحقيق إنعطافة حادة كاستراتيجية في وضع الأسس الكفيلة للتعاون الاقتصادي بين الدول

الإسلامية ورغم أن الأمة الإسلامية عقدت سبع قمم إسلامية إلا أن قمة طهران ربما تفتح الطريق أمام رؤية إسلامية شاملة تجاه معالم المستقبل الجديد[٣٢] .

لقد أطل الرئيس الإيراني محمد خاتمي من على منصة القمة الإسلامية كرجل دولة إسلامية مشرقية من الطراز الأول حينما وصف السياسة الأمريكية بأنها سياسة متخلفة عن زمانها وليست منسجمة مع تطورات العصر بينما ميز بدقة بين ممارسات الطغمة المالية والعسكرية التي تحكم والولايات المتحدة وبين الشعب الأمريكي ،وبهذا الشكل يعتبر خطابه السياسي خطوة جريئة لمخاطبة العقل الأمريكي وليس ذلك فحسب بل ومخاطبة العقل الأوربي والدول الأوربية.

حينما أكد بأن الولايات المتحدة تفرض على أوربا ما تريد نزولاً عند رغبة مصالحها الخاصة وتدفعها لفرض حصار على إيران معتبراً أن الحوار مع الشعوب الأوربية والأمريكية هو من ضمن حوار

---

[٣٢] انظر السفير / ١٠/١٢/١٩٩٧ / العدد ٧٨٦٩ /القمة الإسلامية لهجتان إيرانيتان وتوافق عربي .

الحضارات وليس الصراع معها وأن نتائج الحـــوار مـــع الشـــعب الأمريكي له أهمية خاصة مع إيران لأنها حريصة على إقامة علاقـــات طيبة مع جميع دول العالم باستثناء الدولة العنصرية الاستيطانية الـــتي تغتصب الأرض والحقوق الإسلامية والعربية وترفض تنفيذ قـــرارات الأمم المتحدة وهي لا تريد السلام العادل وترفض التسوية الســـلمية والمسببة في التوتر بمنطقة الشرق الأوسط .

كذلك حققت القمة الإسلامية في طهران نجاحاً باهراً واجمـــع المراقبون والمتتبعون لسير أحداثها على التوافق الواسع للمشـــاركين فيها وتؤكد على الرغبة الأكيدة في تحقيق التضـــامن الإســـلامي في مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية الـــذي يعتبر حجر أساس لنهضة إسلامية في العالم الإسلامي كذلك كـــان لكلمة الرئيس حافظ الأسد دور كبير في فهم ظروف المنطقة وآفاقها السياسية وعبرت عن ضمير الأمة الإسلامية من أجل نضال الشعوب من أجل الحرية والكرامة والاستقلال وحق تقرير المصير وأكـــد أن العرب مع السلام الذي يعيد الأرض والحقوق ويحفظ الكرامة ويزيـل العدوان ويرفع الكابوس الصهيوني وينهي العدوان المتكـــرر علـــى الشعب اللبناني ويزيح الاحتلال عن الجولان وسيادة بلادنـــا علـــى

أراضيها وخيراتها. من الواضح أن قمة طهران حققت هدف جوهري في إرساء التفاهم العربي الإسلامي لأجل تطبيق أهداف القمة، رغم أن الرئيس التركي غادر القمة قبيل انتهاء أعمالها كخطوة واضحة بعدم الرضى التركي لمواقف الدول الإسلامية وزعمائها من تركيا وعلاقاتها مع إسرائيل والتي سجلت إدانة واضحة لتركيا المتحالفة مع إسرائيل التي تضر أكثر بكثير مما يظنه الزعماء الأتراك بقضايا الأمة الإسلامية المباشرة وغير المباشرة والتطلعات المشروعة للدول الإسلامية تأخذ بعداً شمولياً آخر يتعلق بمحاولة مواجهة التحديات الراهنة في ما يسمى النظام الدولي الجديد وإرساء الموقف المتماسك العربي الإسلامي المشترك ليس على أرضية سياسية وإعلامية فحسب بل وعلى أرضية اقتصادية تضمن وحدة الدول الإسلامية بوجه الأخطبوط الاستعماري ، وجاء فيما يتعلق بالأهداف والمبادئ بعد الموافقة على الميثاق وتأسيس الدول لمنظمة المؤتمر الإسلامي ودورها الحضاري بين الشعوب الإسلامية:

١. تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول العربية والإسلامية .
٢. دعم التعاون بين الدول الأعضاء في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتشاور حول كل ما

يتعلق بذلك في المسائل الدولية .

٣. محو التفرقة العنصرية والقضاء علـــى مخلفـــات الاســـتعمار الداخلية والخارجية ودعم مصالح الشعوب في حقه بالتحرير من ظلم الاستعمار وأعوانه .

٤. تعزيز مسيرة السلام والاستقرار الدولي ومحاصرة الأحـــلاف العسكرية الاستعمارية .

٥. المحافظة على الأماكن المقدسة وتحريرها ودعم الكفاح العـربي الفلسطيني لاسترجاع الحقوق الوطنية الشرعية والثابتة .

٦. دعم كفاح الشعوب الإسلامية في سبيل استقلالها وحقوقـــها الوطنية والمحافظة على ثرواتها الوطنية .

٧. إيجاد المناخ الملائم لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء وعدم استخدام القوة والتهديد باستعمالها وســـلامة الأراضـــي واحترام سيادتها الوطنية .

كذلك فإن اجتماعات وزراء خارجية العرب قبيـــل القمـــة وتأكيدهم على تبني المشروع العراقي وتقديمه كمشروع عربي شـــدد

على نقطتين[٣٣] :

١. تأكد المؤتمر على سيادة العراق واستقلاله ووحدة أراضيه وسلامته الإقليمية بوجه الاعتداءات الأمريكية البريطانية .

٢. الكف عن أعمال التدخل بالشؤون الداخلية والامتناع مستقبلاً عن تهديد سيادة العراق وحدوده القومية .

وهي إشارات واضحة على المواقف التركية العسكرية التي باتت تتدخل في شؤون العراق وتنسق مع إسرائيل وتجتاح حدوده وتحتل مساحة واسعة منه إضافة إلى مشروع القرار الذي قدمته الدول العربية لمنظمة المؤتمر الإسلامي في طهران والذي يعبر عن القلق الشديد من إقامة بعض الدول الأعضاء في المنظمة بالتعاون العسكري مع إسرائيل وإعادة النظر بذلك وهي إشارة واضحة لتركيا[٣٤] .

لقد كانت قمة طهران الإسلامية ذات مدلولات هامة جداً تجاه القضايا السياسية الإقليمية والدولية واستطاعت بنفس الوقت من

---

[٣٣] النهار ١٩٩٧/١٢/٨ رقم / ١٩٩١٨ مواجهة بين سوريا وتركيا

[٣٤] الشرق الأوسط ١٩٩٧/١٢/٨/٩٦٥٠

إيجاد مناخات جديدة، شكل فيها التطور الإيجابي للخطاب الإيــراني تجاه العديد من القضايا الحالة الأهم وخاصة تجاه الحوار البنّاء مــع المملكة السعودية ،وإذا كانت إيران قد احتضنت المؤتمر الإســلامي فإن القيادة السياسية في إيران وبالأخص الرئيس محمد خاتمي قد جعل الشعار الأساسي للقمة / تحرير القدس و إخراج الصهاينــة منــها / حملت هذه الرؤية أصداء طيّبة في العالمين العربي والإسلامي لذلــك فإن النظرة العميقة لمختلف المسائل الحساسة في المنطقة تعمق الشعور الإسلامي في العالم بالمسؤولية تجاه القضايا الحيوية والإســتراتيجية ، الأمر الذي يدعم العلاقات الإيرانية العربية ذات التــاريخ الطويــل والعلاقات المتطورة ورغم أن الدول العربية غير مبالية في كثير مــن الأحيان بآسيا الوسطى ودولها الإسلامية العريقــة والــتي تفتخــر بالإسلام ورسالته وتاريخه مثل طاجيكستان وأذربيجان وغيرهمــا إلا أن اللامبالاة العربية دفعت إسرائيل إلى احتلال مكانة غير معقولة مـع تلك الدول حتى أنها استطاعت إلى حد ما تحييدها عن طريق الصراع العربي الصهيوني .

وتبقى إيران واجهة مقبولة وبوابة تجاه تلك الدول التي تعتــبر نفسها أقرب إلى الإسلام والخليج والعرب من روسيا نفســها ، وإذا

استطاعت الولايات المتحدة وإسرائيل من التغلغل في آسيا الوسطى وسيبيريا و (قرغيزستان ــ وبشكيريا) وغيرهما من الدول الإسلامية الآسيوية فإن التضليل الاستعماري لن يدوم طويلاً فمن واجبات المؤتمر الإسلامي أيضاً التوجه إلى مناطق واسعة في أفريقيا وبعض دولها وشعوبها التي تنتظر المساندة الفعّالة من المؤتمر الإسلامي نفسه .

وقد استطاع خاتمي أن يطفئ الجمر تحت نار العلاقات الإيرانية العراقية مؤكداً أنه في تاريخ الشعوب هنالك مراحل مريرة . لكن من الضروري أخذ العبرة منها ، والاستعمار بكل أشكاله وألوانه حاول باستمرار .ضرب العلاقات المستقرة بين دول المنطقة الكبيرة التي يحسب حسابها جيداً ويتآمر عليها بأساليب وخطط لها معطيات ودروس تاريخية لابدَّ من الاستفادة منها والوقوف بقوة ضد سياسة التضليل والأحابيل المستمرة وإبقاء عامل الوحدة والتماسك بين الدول والشعوب الإسلامية وبالأخص بين إيران والعراق لأنهما يشكلان قوة إسلامية استراتيجية مع سورية ضد الكيان الصهيوني، ويشكلون دعامة مميزة في حل قضية الشرق الأوسط.

ومن هنا بالذات نجد أن مقدرة الرئيس محمد خاتمي على تحليل الأمور السياسية الإقليمية بروح علمية دقيقة لا يستهان بها

مطلقاً حينما شدد على ذلك قائلاً[35] :

"نحل مشاكلنا بأنفسنا وأن لا نسمح لأحد أن يتدخل فيما بيننا لأن أعدائنا لا يريدون أن يكون إيران والعراق قوتين في المنطقة " هذه الرؤية الدقيقة والصائبة لا تريح الولايات المتحدة وإسرائيل وبالتالي تنظر إليها دول معينة بعين الريبة والشك خاصة وأن أمن الخليج لا توفره الولايات المتحدة وأساطيلها بل توفره إرادة الشعوب في المنطقة واحترامها لبعضها البعض ولا يمكن دعوة قوات الأجنبي لبناء الأمجاد الكاذبة اتجاه دمار وآلام وضحايا الشعب العراقي وأكذوبة أن أمن الخليج تتحمله دولة في الوقت الذي تحوّل نفسها إلى ثكنة عسكرية للأساطيل الحربية والقواعد الجوية للمطامع الأمريكية هذه الناحية الجوهرية تدل على أهمية السياسات التنسيقية بين دول المنطقة باعتبارها أفضل بكثير من أساليب الخداع والتضليل التي تؤكدها السيطرة الأمريكية الصهيونية على بعض الدول العربية في الخليج دفاعاً عن **المخطط الجيوسياسي الإستراتيجي ـ الثلاثي المقدس للمصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والمالية** .

---

[35] كلمة الرئيس خاتمي في القمة الإسلامية ١٩٩٧ .

٩- فشل المقاطعة الأمريكية للجمهورية الإسلامية

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية استخدام سياسة الاحتواء المزدوج ضد إيران والعراق والتي فشلت إلى حد كبير وأن المتضرر من المقاطعة الاقتصادية للجمهورية الإسلامية هو الولايات المتحدة نفسها وأن فشل خطوات التطبيع في العلاقات بينهما في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني جعل من الصعب إعادة تطبيع العلاقات أو حتى الحوار الرسمي في عهد الرئيس محمد خاتمي خاصة وأن التيار المتشدد الذي دعم خاتمي في الانتخابات الرئاسية لا يريد هو الآخر أي شكل من أشكال الحوار أو التطبيع مع واشنطن، الأمر الذي يكشف في الطرف الآخر إمكانية توطيد العلاقات الإيرانية مع آسيا الوسطى وبالتالي مع روسيا وهنا بالذات حاولت واشنطن تسريب أخبار كاذبة أن إيران تحاول امتلاك القوة النووية عن طريق روسيا والسعي للحصول على أسلحة الدمار الشامل ضمن سياسة التحريض والحرب السرية المتبعة .

وحاولت واشنطن تصوير المسألة على أنها تؤثر بعمق على استقرار المنطقة، رافضة النظر إلى امتلاك إسرائيل للسلاح النووي ولمجموعة مفاعلات نووية تم فضح أسرارها من قبل الفني النووي

مردخاي فعنونو إلا أن الولايات المتحدة وجدت في تحديث إيـــران لقواها وجيشها وللحرس الثوري الإســـلامي ضالتـــها في تســـليط الأضواء على أكاذيب محاولات إيران وعبر دول آســـــيا الوســـطى وروسيا[٣٦] امتلاك السلاح النووي وإقامة مفاعلات نوويـــة. إلى أن جاءت صفقة شركة (**توتال**) مع إيران وكشفت حقيقة الغطرســـة الأمريكية الممارسة ليس على إيران وحدها فحسب بل وعلـــى دول أوربية أيضاً حاولت الوقوف إلى جانب تطوير العمـــــل التجـــاري والاقتصادي مع طهران وشركة (**توتال**) الفرنسية وغـــاز (**بـــروم**) الروسية (**وبتروناس**) الماليزية تخطت الحصار الأمريكي المفروض على إيران فوقعت عقداً مع شركة النفط الوطنية الإيرانية بقيمة(٧) مليـــار دولار أدى ذلك إلى شعور واشنطن بصدمة حقيقية حاولت وبسرعة إلى تطبيق عقوبات قانون(**داماتو**) الذي أقرته الإدارة الأمريكيـــــة في آب ١٩٩٦، على الشركات التي وقعت الاتفاق مع إيران و لم تكتف بذلك بل وعملت فرض عقوبات على شركات تتعامل مع إيـــــران

---

[٣٦] انظر /شؤون الأوسط / العدد ٧٦ / تاريخ أكتوبر ١٩٩٨ / حلف اوراسيا الجيوسياسي / ألكسي غروميكو / ص ٢٧ .

وليبيا في مجال استثمار النفط والغاز تتجاوز ٢٠ مليون دولار[٣٧]. وقد أكد رئيس الوزراء الفرنسي ليونيل جوسبان أنه لا يحق للولايات المتحدة فرض عقوبات على شركة فرنسية أو أي شركة أخرى لأنها لا تخضع للقانون الأمريكي وفعل الروس نفس الشيء وبهذه الصورة فإنه ليس من حق واشنطن تهديد شركات ودول تقيم علاقات اقتصادية مع إيران وأن هذا التصرف منافي للأعراف والقوانين الدولية والحظر الذي تحاول فرضه واشنطن لا يقتصر على التدخل في شؤون إيران الداخلية بل والتدخل أيضاً في شؤون داخلية للدول الكبرى مثل فرنسا وماليزيا وروسيا هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الولايات المتحدة تتخذ المواقف المعادية لإيران لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية للإستراتيجية الأمريكية التي انكشفت أحابيلها ليس في الجانب المذكور فحسب بل وبالتغطية على الخطر الحقيقي في المنطقة وذلك بالمحاولات المتكررة من قبل الولايات المتحدة لضرب استقلال إيران الاقتصادي والسياسي لا بل ومنع الجمهورية الإسلامية من امتلاك قوة دفاعية وتقنيات عصرية كحق لها للدفاع عن نفسها

---

[٣٧] شؤون الأوسط العدد ٦٦/أكتوبر /١٩٩٧/ص"١٤٥"

وتشارك روسيا في بناء مفاعل نووي للاستخدام السلمي في بوشهر على الخليج وإذا كانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تشرف على جميع الأنشطة النووية الإيرانية تغض الطرف عن امتلاك الكيان العنصري الصهيوني لأحدث ترسانة أسلحة التدمير الشامل وبالأخص الترسانة النووية الإسرائيلية وقد أكد خرازي وزير خارجية إيران : "من الواضح تماماً أن انعدام الأمن في الشرق الأوسط يكمن بالأساس بالنزعة العسكرية في إسرائيل وتطور ترسانتها من أسلحة الدمار الشامل التي تعرقل جميع الجهود بشأن مبادرات نزع هذا السلاح في المنطقة برمتها وبالتالي إنفضاح الدعم الأمريكي المطلق لسياستها العدوانية" .

****

١٠- ضرورة التضامن الإسلامي ـ العربي

يعتبر التضامن الإسلامي دولاً وشعوباً وإيمانهم العميق بقضاياهم العادلة والمقدسة وبالأخص القضايا الاستراتيجية منها وتضافر جهودهم من أجل المواقف والكلمة الموحدة في سبيل وضع كل إمكانياتهم المادية والمعنوية في خدمة الأمة الإسلامية يعني إيقاظ أكثر من مليار مسلم في العالم قادرين على العمل ككتلة واحدة في سبيل تمهيد الطريق المواجه والضغط على السياسة الأمريكية والسياسة الصهيونية في مناطق متعددة من العالم[٣٨] وخصوصاً الضغط على الرأي العام الأمريكي والأوربي ودعم الأحزاب والجمعيات الإسلامية التنويرية القادرة على مواجهة الجمعيات السياسية اليهودية والصهيونية وتطوير النضال ضدها لزعزعة دورها الخطير ضد السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط والصهيونية العالمية استغلت اليهودية العالمية لتحقيق أغراضها الاستعمارية بإثارة الفتن والأحقاد لتصوير الكيان الصهيوني بأنه دولة ديمقراطية ونحن ندرك أن هذا

---

[٣٨] انظر /صحيفة الأهرام المصرية / العدد ٤٠٥٤٨ / تاريخ ١٩٩٧/١٢/١٢ السياسة المصرية في المؤتمر الإسلامي / أحمد نافع .

الكيان هو مصدر العنف والإرهاب واضطهاد الشعوب في المنطقة وتهديد دولها وليس ذلك فحسب بل ومحاولات السيطرة على القدس واستيطانها وتحويلها إلى عاصمة أبدية للدولة العبرية بينما تساندها بهذا العمل الإرهابي الولايات المتحدة الأمر الذي يدفعنا إلى توجيه الاستراتيجية الإسلامية نحو التضامن الإسلامي بأقصى أشكاله وتعميق أهدافه ضد تلك الممارسات والتصورات التوراتية الاستعمارية في بلادنا وأماكننا المقدسة ولعل الحلف الاستعماري (التركي-الإسرائيلي-الأمريكي) الموجه ضد سورية وتصرفات واشنطن المؤيدة بالكامل لضرب العلاقات بين الشعب التركي وقواه المسلمة مع الشعوب العربية والإسلامية هي خطة رامية إلى إثارة الاضطرابات في المنطقة .لكن بوادر الانفراج في العلاقات بين إيران ودول الخليج وبين إيران والعراق الذي ساهم فيه بقوة الرئيس خاتمي واعتماده على سياسة تفكيك الخطط المعادية بخطط عقلانية لمواجهة السياسة الأمريكية واستراتيجيتها، حيث لعبت إيران دوراً مميزاً ليس لحل الخلافات مع الإمارات العربية بشأن الجزر الثلاث في الخليج أو بشأن البحرين وإنما في إزاحة التوتر في العلاقات بينها وبين دول الخليج وبينها وبين السعودية وكذلك بين تركيا وسورية ودور مصر

والرئيس حسني مبارك في ذلك مع التقارب الإيراني _ المصري الـذي بات لا يطمئن الولايات المتحدة وإسرائيل والأمر الذي ساعد سورية على كسر الحصار الذي سعت واشنطن وإسرائيل إلى فرضه لتقـــديم تنازلات بشأن التسوية السلمية في المنطقة دعـــت ســـوريا وإيـــران لضرورة التضامن الإسلامي والعربي من أجل دعم سوريا ولبنان ضـد السياسة الأمريكية وبالتالي دعم الرؤية العلمية والتصورات التي تدعم تحالف إسلامي واسع مروراً بسوريا والعراق وإيران وباكستان وآسيا الوسطى في مواجهة المخطط الصهيوني الذي يحاول مدعومـــاً مـــن الولايات المتحدة لضرب دول المنطقة بعضها ببعض وطرح ما يسمى بالشرق الأوسط الموسع الذي يضم آسيا الوسطى أيضاً.

ولا شك أن هناك خصوصية بين العلاقـــات الإســـلامية — الإيرانية والعربية لأن العمق الإيراني بالنسبة للعرب مهم في قضايـلهم المصيرية والعكس فإن العمق العربي الإيراني يدفعها لأن تكـــون ذات أهمية بالغة ومهمة في دورها الإقليمي — والعالمي والعكس بـــالعكس ويظهر العمق الإنساني إذا لم يقتصر على المؤسســـات والتبـــادلات الثقافية والتجارية والدينية فإنه يشمل النماذج والتشـــابك البشـــري

وعوامل النسب ووحدة الدم والمصير بالإضافة إلى التعاطف الشعبي والروحي ، وفي إطار المؤتمر الإسلامي برزت تلك الوشائج بشكل واضح .[٣٩]

وإذا كانت المسألة القومية تأخذ أبعادها الإنسانية التحررية فإن المسألة الروحية الإسلامية والقرآن الكريم والتاريخ والحضارة المشتركة تلعب دوراً هاماً في سياق الحاضر والفعل المستقبلي لأن الإسلام أوجد عوامل وروابط للتفاعل المصيري تاريخياً وبشكل ناضج ومفيد في العصور الحديثة بالرشد والنضج الفكري والثقافي رغم بعض العوامل الطارئة ، ولا شك أن استمرار التشابك الحضاري ، يبعد عوامل التجزئة التي تفرض نفسها أحياناً في ثنايا الأمة الإسلامية باعتبارها عوامل طارئة أكان في :

١. التجزئة القومية .

٢. التجزئة الطائفية .

وهي أحابيل يخطط لها النظام العالمي الجديد في سياق التردي

---

[٣٩] انظر بهذا الصدد / العلاقات العربية – الإيرانية / مركز دراسات الوحدة العربية /ص ٨٧٦ – ٨٧٧ /بيروت / لبنان / ١٩٩٦ .

السياسي وعدم وجود تنفيذ عملي ترجح المصلحة الإسلامية العليا وبالتالي مصالح الشعوب ، وتلك الخصوصيات اللغوية والثقافية والتاريخية والحوار والمؤسسات المشتركة تجعل من العرب والإيرانيين أقدر على مواجهة التحديات في الساحة العالمية وتنظيم علاقاتهم مع بعضهم البعض [40].

من هنا فإن تصحيح الخطاب الإسلامي المستند على الوعي السياسي والاجتماعي لقضايا العصر وإبراز الجانب المشرق والحضاري للإسلام والدعوة المفتوحة إلى حوار الحضارات التي ركز عليها السيد خاتمي مراراً كمصدر للتفاؤل بمسألة حوار الحضارات التي نجدها هنا وهناك إلا أن الإسلام كان بشكل عام دين السلام والعدالة الاجتماعية ، وإن مسألة حقوق الإنسان تصبح فيها الولايات المتحدة المدافع الحريص – عليها ولكن بما يتناسب مع مصالحها رغم أن واشنطن تضع الجمهورية الإيرانية في قائمة الإرهاب إلا أن ذلك يتعلق بديناميات الحرص على النفط والأمن ونظام العولمة .

---

[40] صحيفة الحياة ١٩٩٤/٩/٢٧

والتباين الجوهري بين سياسة الولايات المتحدة الخارجية في الخليج وبين سياسة الجمهورية الإيرانية ، وهنا فإن طهران ترسم سياستها الخارجية بتعاقب منطقي وتطور ملحوظ لتوفير نظام الاستقرار والأمن في المنطقة ، والسياسة الخارجية الإيرانية كثيرة الاهتمام حتى نهاية عام الألفين وبعد ذلك بسياسات تتركز حول الأمة الإسلامية ودورها وتعاطفها مع الوطن العربي وقضاياه المصيرية، وإن انتصار الثورة الإسلامية في إيران كأول حركة جماهيرية إسلامية نجحت في هذا القرن كان سببها تعرض الشعب الإيراني للاضطهاد الداخلي والخارجي من قبل الولايات المتحدة ومن الطبيعي أن يكون الاقتراب الإيراني — العربي له نواحي تهم الطرفان في إيجاد عوامل الوحدة بعد تكريس الجمهورية الإسلامية وانطلاقها لتعميق علاقاتها الثنائية مع الدول العربية[٤١] .

---

[٤١] انظر مؤتمر الفكر السياسي الإسلامي /١٩٩٩/٣/٩ / محاضرة الدكتور اندرياس ريك /تحولات جديدة في الجمهورية الإسلامية أوراق ومحاضرات مؤتمر الفكر السياسي الإسلامي في ظل تجربة الثورة والدولة في إيران .

كذلك فإن علاقات إيران مع المملكة العربيـــة الســـعودية ودول الخليج وتطورها إيجابياً يعطي الآفاق المتكاملة لعملية الانتمـــاء – والتطور للامة الإسلامية وحيث عملت المملكة العربية الســـعودية بسياستها الخارجية إلى توطيد دعائم العلاقات الإســـلامية وبـــذات الجهد والمال انسجاماً مع التعاليم الإســـلامية ووحـــدة المســـلمين وتضامنهم ورفع مستوى شأنهم العام وفي تأسيس رابطـــة الـــدول الإسلامية وجهودها النشيطة لإنجاح مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط والمؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية الـــدول الإســـلامية في جـــدة ، وكذلك لعبت إيران دور مهم في إنجاح مؤتمـــر القمـــة الإســـلامي بطهران ١٩٩٧ كذلك فإن المملكة العربية الســـعودية تلعـــب دوراً مهماً في العالم الإسلامي وإيقاف الخلافات الإسلامية لصالح تطـــور العالم الإسلامي وتقدم الإنسان ، من خـــلال إنجـــازات مختلفـــة في المجالات العلمية والاقتصادية والثقافية والعمرانية ، وتدعيم روابـــط لا انفصام فيها من الاخوّة الإسلامية ومشاعر المـــودة الروحيـــة ، وخاصة دعمها لقضية فلسطين والقدس الشريف وهنا تـــبرز أهميـــة الدور السعودي المساهم لحل قضايا كثيرة لصالح الأمـــة الإســـلامية

وتقدمها وخاصة في المجال الخارجي وحل القضايا العالقة بالطرق السلمية في منطقة الخليج وبالأخص بين إيران والإمارات العربية المتحدة، للوصول لحل منسجم وعادل مع مصالح شعوب ودول المنطقة.

والظاهرة المشتركة والمهمة في العالم الإسلامي هي " الصحوة والنهضة الإسلامية " التي تهتم بالإنسان وتقدمه وتطوره وتوسيع معرفته ودوره على مختلف المستويات وأهمها حل الأمور بالحوار الديموقراطي[٤٢] .

****

[٤٢] انظر العلاقات العربية الإيرانية / مركز دراسات الوحدة العربية / د. محمد آذر شب / ص٨٦٩ .

١١- مشهد حول التقارب الروسي ـ الإيراني

عند زيارة الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني لروسيا عام ١٩٨٩ فتحت الزيارة آفاقاً جديدة للعلاقات بين روسيا وإيران وتعززت من خلالها مجموعة اتفاقيات اقتصادية وعسكرية، كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تلمحان دائماً بالوسائل الإعلامية المعادية إن هذه العلاقة هدفها تطوير القدرات العسكرية الإستراتيجية لإيران في منطقة الخليج ، وباعتبار أن المصلحة المشتركة كانت الأساس للتقارب بين سوريا وإيران وروسيا لإدراكهما المشترك لحجم المخاطر التي تشكلها محاولات واشنطن وأنقرة مد أخطبوط سيطرتهما إلى بحر قزوين ونفط المنطقة ، وجعل حلف أنقرة وإسرائيل مُهَدِّداً لاستقرار دول المنطقة حتى في آسيا الوسطى وبحر قزوين .

وجاءت فيما بعد زيارة وزير الخارجية الروسي بريماكوف لطهران عام (١٩٩٧ نيسان) لتجسد حالة جديدة من التبادل والتعاون في مجالات متعددة كانت الظروف والخلافات بين الدولتين سابقاً سبباً في عدم التقارب إلا أنه عند زوال تلك الأسباب، آذنت الظروف الإقليمية والدولية للانفتاح الجديد بينهما على أساس من حسن الجوار والتفاهم حول القضايا الاستراتيجية المشتركة ، خاصة

وأن الولايات المتحدة تحاول تكريس تواجدها العسكري والاقتصادي إلى الأبد مستغلة غياب الدور الروسي عن الساحة الدولية والإقليمية وغياب دوره الاستراتيجي كقطب سياسي وعسكري عالمي، وأن هذا الدور الذي تلعبه السياسة الأمريكية ضد إيران والعراق وروسيا وفرنسا وسياسة الاحتواء المزدوج كانت أهم الأسباب التي جعلت من التقارب الروسي ــ الإيراني ، والإيراني ــ الفرنسي حلقة جديدة من حلقات مواجهة المخاطر الأمريكية المتصاعدة في المنطقة.

وباعتبار الولايات المتحدة الأمريكية تجد المنطقة بالنسبة لها منطقة نفوذ جيو ـ سياسي من الدرجة الأولى وبالتالي (منطقة حيوية) للتنافس الاستعماري بين الدول الاستعمارية لأحكام السيطرة عليها، شكلت فيه هذه الاستراتيجية تركيا الخصم المستحكّم ليس لإيران فحسب بل ولسوريا والعراق التي تدخل ضمن المخططات الاستعمارية والصهيونية كربيبة لها ومارست واشنطن شتى أشكال المؤامرات والدسائس ضد إيران فضلاً عن محاولاتها المستميتة لفرض حصار اقتصادي ظالم عليها كانت شركة (توتال) الفرنسية مع شركات روسية وماليزية قد اخترقت الحصار وتعاقدت مع إيران

لاستثمار الغاز الإيراني الأمر الذي دعا واشنطن للضغط على فرنسا وروسيا من خلال قانون (داماتو) بهدف ممارسة القرصنة الاقتصادية على شركات عالمية لا تخضع بأي شكل من الأشكال للقوانين الأمريكية، رغم أن تأثير الولايات المتحدة على أوربا كان لها دور مبالغ فيه بعد تعرض الحوار الإيراني الأوربي لنكسة قوية إلا أن دور فرنسا في السياسة الدولية أفشل محاولات الولايات المتحدة من فرض نظامها العالمي الاحتكاري الجديد رغم أن إيران تشكل حلقة مركزية هامة فيه وأن أراضيها تقع في إطار "القيادة المركزية" الموحدة للقوات الأمريكية في المنطقة[٤٣] ويعود اهتمام روسيا بالمنطقة للأسباب التالية :

أ. الدور التاريخي الذي تراه روسيا تجاه البوابة الجنوبية لها باتجاه الخليج والمياه الدافئة وإيران منطقة لها حدود طويلة مع روسيا ودول القوقاز وآسيا الوسطى خاصة بعد التقارب الأمريكي الأذربيجاني .

ب. الوقوف بوجه حلف الشمال الأطلسي لمحاولته الامتداد إلى مناطق تعتبرها روسيا جزءاً لا يتجزأ من خطوطها الدفاعية

---

[٤٣] شؤون الأوسط / العدد٦٤ /١٩٩٧ / ص٩ / محمد دياب .

وزيارة خافيير سولانا* في شباط ١٩٩٧ للدول (مولدافيا- جورجيا-أوزبكستان-تركمستان) وغيرهم مؤشر على اجتياز الخطوط الحمر للدفاعات الاستراتيجية لروسيا .

ت. استمرار تقدم ونشاط الشركات النفطية الأمريكية والصهيونية في مناطق بحر قزوين وسيبيريا تشكل تهديداً مباشراً لمصالح إيران وآسيا الوسطى وروسيا .

ث. سياسة الاحتواء المزدوج المقصود فيه ليس لإيران وحدها بشكل خاص فحسب بل ودول القوقاز وآسيا الوسطى والخليج عموماً .

ج. عمل إيران الدبلوماسي الخارجي من محاولات زجّها في دوامة العزلة والحصار والضغط والابتزاز الاقتصادي وهي نفس السياسة التي تتعرض لها روسيا الأمر الذي يجعلهما (إيران_روسيا) تبحثان عن سبل موحدة للوقوف أمام الضغوط الخارجية الاستعمارية الأمريكية والبريطانية والصهيونية العالمية .

---

* خافيير سولانا : أمين عام حلف الشمال الأطلسي .

ومع تزايد التوتر في منطقة الخليج وتنصيب الولايات المتحدة نفسها شرطياً دولياً على دول المنطقة فإن تحسين صورة التقارب السياسي والأمني للمحور الإيراني ـ الروسي على أن ينضم بعض الدول في آسيا الوسطى وتشكيل كتلة أسيوية لمواجهة التحالفات الاستعمارية تشكل نقطة تحول جوهرية في فهم النوايا الخفية للولايات المتحدة والحركة الصهيونية العالمية ،هذا المشهد الجديد من التقارب الروسي ـ الإيراني سيشكل في حركة الصراع الدائرة في المنطقة عقبة كبيرة أمام السياسة الأمريكية والبريطانية الهادفة إلى تفكيك دول المنطقة أو إبقاء النخب الحاكمة لإبقاء العصر الأمريكي الصهيوني هو السائد في منطقة لن تستطيع قوى الاستعمار الخارجية إخضاعها أو حصارها أو تذويب شخصيتها التاريخية والقومية بسهولة .

****

١٢- الحوار مع واشنطن إلى أين ؟!!!!!!!

في البحث عن واقع العلاقات الخارجية الإيرانية مع العديد من الدول هنالك آراء متقاربة جداً فيما بين القيادة الإيرانية إلا أنه حينما يتركز الحديث عن علاقات بين إيران والولايات المتحدة المقطوعة منذ أكثر من ١٨ سنة نجد أن الخطاب السياسي الصادر عن مختلف الرموز والقيادات الإيرانية يلاحظ اختلافاً مبطناً يعكس طبيعة فهم العلاقات الخارجية لدولة لها وزنها الإقليمي والعالمي مثل إيران ولعكس دور الولايات المتحدة إقليمياً وعالمياً ، إلا أن مواقف مرشد الثورة الخامنئي لها بعدها الاستراتيجي الهام في فهم طبيعة النظام الاستعماري العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة كقطب سياسي واقتصادي هام في العالم، ولكن هذه الرؤية بعيدة النظر، لا يمكن أن يتجاهلها الرئيس محمد خاتمي لأسباب كثيرة أهمها أن نظام الحوزات الدينية بكل ما تصنعه من رؤى سياسية متناقضة واختلافات وحوارات دون رقابة أو تردد تسعى إلى ما يمكن قراءته من آراء الرأي العام، سرعان ما يجري غربلة هذه الأمور لصالح منعطفات حاسمة ، فيها الرأي المتماسك على صعيد (داخلي وخارجي) ولكل شخصية قيادية لها أنصارها ومريدوها لكن رغم ذلك فإن الفعّاليات

الدينية في مختلف المناسبات التي تجري داخل إيران ترفض بشدة التصرفات والمواقف التي تقوم بها الولايات المتحدة وبريطانية في الخليج ، الأمر الذي ترفضه وبشدة الجماهير المسلمة الإيرانية وتجده تدخلاً سافراً ووحشياً في شؤون المنطقة الداخلية من هنا بالذات فإن التعددية الدينية الفكرية والسياسية ،يعتبرها الرئيس محمد خاتمي ظاهرة صحية وطبيعية لكن المؤسسة الدينية تؤثر بقوة لا يستهان بها في النظام السياسي هذا الشيء لا يتفق مع تصوراته السياسية الجديدة أحياناً ، وبعد أن حاول طرح مشروع المجتمع المدني ذي الطابع الديني أو ذي مؤسسات جديدة مدنية تأخذ الأمور من خلال أن إيران لها دورها الحضاري الشامل ، وليس دورها الديني فحسب بل ودورها السياسي والثقافي والاجتماعي عموماً ودورها في حوار الحضارات وليس صراع الحضارات ولابد من الإشارة هنا أن أعمال الاغتيال والقتل المتعمد التي حصلت مؤخراً في إيران قامت بها مجموعة متطرفة لها صلات معينة بأجهزة السلطة والتي راح ضحيتها بعض المفكرين والكتاب الإيرانيين الليبراليين المؤيدين بشكل أو بآخر لسياسة الرئيس خاتمي ، دلت على ضيق أفق تلك المجموعات وساعدت على إحداث البلبلة والاضطراب ضمن المجتمع الإيراني

وحاولت التأثير على البرنامج الجديد في احترام الرأي والرأي الآخر والانفتاح الفكري الذي يقوده الرئيس خاتمي بتصوراته الحضارية والموضوعية .

وما ينطبق على السياسة الداخلية ينطبق أيضاً على السياسة الخارجية وما طرحه الرئيس الإيراني محمد خاتمي من مبادرة حوار مع الشعب الأمريكي وليس مع الحكومة الأمريكية جعل العديد من القياديين ينظرون بالريبة إلى هذا التطور الجديد، الذين يجدون انه لا مهادنة أو مساومة مع "الشيطان الأكبر" حيث أعلنت الثورة الإسلامية أن عدوها الأول هو الولايات المتحدة ، لكن خطاب محمد خاتمي السياسي الذي يتجاوز الأفكار الأولى للثورة الإسلامية كمحاولة لإعادة الحوار مع واشنطن من البوابة الثقافية والشعبية تجد المعارضة القوية في الشارع الإيراني والحوزات الدينية ،وهي التي وقفت سابقاً بوجه آراء هاشمي رفسنجاني الذي دعا بدوره وبشيء من البرغماتية السياسية لفتح دائرة من العلاقات الاقتصادية مع واشنطن للاستفادة من خبراتها العلمية والتقنية ورغم أن هنالك من يطرح مسألة جوهرية في اختلاف الآراء بين السيد خامنئي مرشد الثورة وبين السيد محمد خاتمي رئيس الدولة أو مع رفسنجاني نفسه

فيعتقد أن كل هذه الاختلافات في الآراء هـــي معادلـــة إيرانيـــة هدفها(شد أو إرخاء الحبل) بمعنى أن كل ذلك متفق عليه من تذليـــل بعض العقبات الخارجية من أمام المارد الإيراني لإطلاق دوره علـــى الصعيد العالمي بمغازلة البيت الأبيض مغازلة شـــفافة ، رغـــم إدراك القيادة الإيرانية بكل اتجاهاتها لدور اللوبي الصهيوني ومنظمة إيبـــاك وأنهما يلعبان دوراً خارقاً في الهيمنة على الحكومات الأمريكية* كلـها والملفت للانتباه في المعادلة السياسية الخارجية إن إيران تلعـــب دوراً هاماً أيضاً في تعميم المواجهة الإسلامية بطابعها الثـــوري المعـــادي للصهيونية والإمبريالية الأمريكية الأمر الذي تهابه بعـــض الأنظمـــة الرجعية والإمبريالية والتي أخذت تشهّر بالإســـلام ودوره التـــاريخي والحضاري والدعوة للمواجهة أو محاصرة إيران سياسياً واقتصاديـــاً والتآمر على الإسلام بزرع الفتن الطائفية والدسائس المحاكة جيـداً في الدوائر الاستعمارية .

وإذا كانت الصهيونية وإسرائيل تسعيان لتخريب كل أشـــكال

---

* راجع محمد سرحان / من يحكم من في الولايات المتحدة إيباك أم الدســـتور صحيفة الأسبوع الأدبي تاريخ ١٧/٤/١٩٩٩/العدد٦٥٥/ص١٢-١٣ .

الحوار السلمي بين طهران وواشنطن وتفرضان شروطاً جاهزة على إيران للخروج من دورها الهام في أزمة الشرق الأوسط والابتعاد عن دعم الحركة الوطنية في لبنان وفلسطين ضد إسرائيل أو وضع شروط للحوار تتنافى مع الأهداف الإسلامية للجمهورية الإيرانية ودورها الإقليمي والعالمي ، فإن الرئيس خاتمي يضيّع العديد من الفرص على الولايات المتحدة حينما يمسك بزمام الأمور في السياسة الخارجية سواء أكان تجاه الإمارات العربية المتحدة أم فتح حوار سلمي مع المملكة السعودية أم رأب الصدع أو نزع فتيل الحرب بين تركيا وسورية ، ومهما كان دور إيران السلمي أو الثوري الهادف إلى وضع إيران على خارطة المنطقة كدولة لها وزنها وثقلها فإن إسرائيل لا تزال تجد في إيران وقيادتها من ألد أعدائها وأخطرهم على مصالحها في العالم، لقد كتب الأمير طاهري في الشرق الأوسط[٤٤] أن هناك خلافات حادة وجدلاً واسعاً بين رؤية دينية فاشلة مستندة على الرؤية الخمينية التي تقطع طريق الحوار مع الولايات المتحدة وتكره الأسلوب والممارسات المعادية لتحرر الشعوب السياسي

---

[٤٤] صحيفة الشرق الأوسط ٦/٢/١٩٩٨/٦٩٧٩/

والاقتصادي، ويتهجم بمنطق العارف على مرشد الثورة الإسلامية لموقفه من التحرك الذي يبديه الرئيس خاتمي لمخاطبة الشعب الأمريكي وحكومته ويخلص إلى نتيجة تدس السم في العسل أن إيران دولة نضجت بما فيه الكفاية لتدرك أفضل مصالحها بينما الثورة الخمينية تقاوم النضوج وهي لا تريد اعتلاء القمة على أنقاض ثورة فاشلة، هذه الرؤية التي تأخذ منحى العداء من الثورة الإسلامية في إيران تعبر عن أفكار مضادة للثورة وغير قادرة على تحليل الأمور لصالح الهدف الأسمى في العلاقات الدولية ولا يعتقد هنا أن تبرير العلاقات الأمريكية_ الإيرانية بأن إيران ستعتلي القمة الأمريكية في نظام عالمي جديد أثبت فشل أمريكا فيه بشكل نهائي للسيطرة على العالم والمنطقة وهبوطها الشديد إلى اسفل درك من الممارسات العدوانية البشعة ضد الشعوب وهي لا تعني بأي حال من الأحوال قمة الحضارة في العالم، وإذا كنا واقعيين في تحليل مقدار الخلافات الثانوية بين زعماء الجمهورية الإسلامية والثورة الإيرانية فان تلك الخلافات طبيعية جداً وتنطلق من منطلق الحرص والتجديد في سلوك طريق يكّسب إيران احترام الشعوب والدول في العالم ، ولا تنظر إيران وقياداتها إلى صك براءة تقدمه واشنطن لإيران أو لغيرها من

الدول مثل ليبيا والسودان لان آفاق التفكير بهذا الاتجاه تعني المساومة على السيادة وعلى الأهداف ، ورجال الثورة الإيرانية وأصحاب الرؤية التحديدية فيها يعتقد انهم لا يساومون لا على السيادة ولا على الأهداف التي رسمتها الثورة ، والعلاقات الخارجية التي يرسمها ويخطط لها الرئيس محمد خاتمي هي عميقة لجعل الإدارة الأميركية في موقف حرج أمام المرونة السياسية التي يظهرها تجاه تعديل اللهجة الخطابية ورسمها باتجاه توازي الرسالة الخطابية الحضارية لشعوب مناضلة ومكافحة من أجل السلام والحرية والعدالة ومن اجل وضع الإدارة الأميركية في سكة قد تجعل منها أضحوكة أمام العالم كله لمجرد التفكير بأنها لا تزال تعادي الجمهورية الإسلامية في إيران التي اخترقت الحصارات السياسية والاقتصادية الأميركية لا بل وجعلت من شركة (توتال) الفرنسية كابوساً يداهم الشركات الأميركية وإدارتها السياسية التي أصدرت قانون (داماتو) المضحك وتجاه دول وشركات لها وزنها العالمي ، وإيران يمكنها أن تتخطى كل الصعاب والعقبات مع الدقة في إدارة الصراع المدروس وبرؤيا علمية قادرة فيها أن تحقق أهم أهدافها الخارجية فضلا عن أهدافها الداخلية ، وبروز ممارسات دقيقة وموضوعية أو في وضع إيران أمام مسؤولياتها

التاريخية صعودا بالسلم الحضاري وليس رجوعا إلى آفاق مغرقة في الانزواء والتخلف تحت حجج وسواتر كثيرة .

والرسالة المرسلة من قبل الرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) إلى الحكومة الإيرانية والتي نقلها السفير السويسري في طهران التي تضمنت عرضا للحوار المباشر بين الحكومتين للبحث بمواضيع الخلاف وإعادة فتح الملف الثقافي بين البلدين تعبر عن محاولات واشنطن مد جسور التفاهم من جديد وما أكده ريتشارد موري مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط فإنها تضفي على العلاقات الإيرانية _ الأمريكية حالة جديدة من رد الاعتبار للجمهورية الإسلامية على الساحة الدولية على أن الحوار عبر التبادل الثقافي والرياضي والأكاديمي عامل مساعد لتنشيط العلاقات التي لا تريد إسرائيل والصهيونية لها أن تعود بالشكل الطبيعي بين الشعبين الإيراني والأمريكي على اقل تقدير بل تريدها متأزمة إلى حدود بعيدة.

****

١٣- احترام دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية

أعلن السيد رئيس الجمهورية الإسلامية في بيان نشره بالصحف عن تأليف مجلس لحماية ومراقبة دستور الجمهورية ، وان على المجلس منع حصول انتهاكات للقانون الأساسي عبر إطار واسع لجمع المعلومات وتقديم تقرير سنوي إلى مرشد الثورة والشعب ومجلس الشورى وعلى اعتبار أن المجلس أنشئ بسبب مسؤولية الرئيس الكبيرة أمام الشعب كله وان تعيين أعضاء للمجلس للفترة الرئاسية القادمة مهمة كبيرة .

وينص الدستور على انه لا يحق للناس تهديد المصلحة الوطنية العليا وأمن البلاد باسم الحرية ، وأنه توجب عادة على أجهزة البنية الفوقية للجمهورية تولي المحاسبة التي قد تقع من أشخاص من البنى التحتية أو العكس فالناس أمام الدستور سواسية وانه على الناس احترام الدستور.

جاء فوز الرئيس الإيراني محمد خاتمي برئاسة الجمهورية بأغلبية حاسمة تجاوزت العشرين مليون صوت يقدم للشعب الإيراني التوجه نحو آفاق جديدة تتجاوب مع الشارع السياسي الإيراني الذي

يطالب بالحريات الديمقراطية واحترام الدستور والقانون .

رغم أن مجلس الوزراء اصدر بياناً أمن فيه على مرجعية ولاية الفقيه واعتبر أن أي عمل يلحق الأذى أو الضعف بولاية الفقيه سيلحق الضرر بالمجتمع والثورة لان مبدأ ولاية الفقيه هو ميراث إسلامي استندت عليه الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني لكي يحكم الناس بالقانون والعدل وبالشريعة الإسلامية وركز البيان على ضرورة استقرار البلاد والحفاظ على مصالحها عبر الحفاظ على القيادات وولاية الفقيه ورعاية القانون وحماية مصالح الشعب وعلى اعتبار أن الدستور هو الحَكَم القانوني فإن المسألة كلها تشهد مواجهات وترددات كبيرة وأن رئيس أي جمهورية ترجع إليه باعتباره منتخب ديمقراطياً لتنفيذ القانون وإدارته في طول البلاد وعرضها الأمر الذي يجعل مهمة رئيس الجمهورية صعبة إلى جانب مهمة مرشد الثورة الذي لن يتنازل عن حقه المطلق وربما لن يقبل تعديله ، بحيث صارت ولاية الفقيه فوق الرئيس ومجلس الوزراء والدستور نفسه ، وهي ولاية لا تخضع لإرادة الشعب بل لا تخضع أيضاً للانتخابات التشريعية وإذا كان هاشمي رفسنجاني الرئيس

السابق قد أكد على أهمية دور السيد مرشد الثورة خامنئي معبراً عن دعمه للسلطة السياسية والدينية لآية الله خامنئي باعتباره مرشداً روحياً للدولة والثورة وأكد أن خامنئي تدخل في كتابة التاريخ لكنه أهمل المستقبل .

لا يمكن لنا ونحن نستقرأ ونحلل في هذه الدراسة الموضوعية والهامة طبيعة الأزمة الداخلية في إيران وموازين القوى المؤثرة في القرار السياسي إلاّ دراسة حقيقة الخلافات الداخلية بشكل موضوعي وحيادي ، ولا ريب أن القيادة الإيرانية لها دورها الهام في المستقبل المنظور للأوضاع السياسية الإقليمية ونحن لسنا كبعض ممن يستقرئون العلاقات مع الولايات المتحدة بأنها مهمة إلى درجة تزرع الخلافات فيما بين القيادة الإيرانية خاصة وأن أوروبا وآسيا وأوكرانيا وأذربيجان وروسيا يتطلعون لدور إقليمي أكبر بعيداً عن الخلافات الداخلية ودعم السياسة الخارجية لإيران في المحافل الدولية والخروج من الفلك الأمريكي ومنظومته .

****

١٤- خاتمـــــة

لكن على اعتبار أن واشنطن تمثل ثقلاً سياســـياً وعســكرياً مفروضاً فرضاً على العالم باعتبارها القطب السياسي الأهــم فــإن القيادة الإيرانية لا تغفل عن هذا الدور المهيمن وخاصة في منطقـــة الخليج وممارساتها لسياسة الاحتواء المزدوج ، لكن لإيران دورا كبـيرا في التأثير بميزان القوى الإقليمي والعالمي .

من هنا فإن الخلافات الداخلية وجب بالعادة أن تأخذ منحـــى آخر يتمحور حول إيجاد المؤسسات الديمقراطية القادرة على جعـــل هذا البلد المسلم قادراً على تخطي الصعاب مهما كانت في سبيل بناء دولة قوية لا يراهن الأعداء أو الخصوم على السلبيات فيها التي قـــد تظهر فيها هنا أو هناك أو على ثغرات بسيطة لا تشكل إلا منعطفـــاً هاماً لتعزيز مكانة الجمهورية الإسلامية ودورها البنّاء في اســـتمرارية منظومة المواجهة الكبيرة بين قوى التحرر مـــن ربقـــة الاســـتغلال والاضطهاد الاستعماري الأمريكي ــ الصهيوني أو محاولات إعـــادة إيران لدائرة السيطرة الاستعمارية من جديد .

****

١٥- سياسة الولايات المتحدة وأوروبا تجاه الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط*

يرصد هذا التقرير الذي أصدره اتحاد جامعات مونتريال للدراسات العربية ، السياسة الأمريكية بشكل خاص والأوروبية بشكل عام حيال الشرق الأوسط والخليج العربي وشمال أفريقيا ، كذلك التقاطعات والافتراقات التي تحدد تجليات الأمن الإقليمي لكليهما ، ارتباطاً ، بالمصالح الاستراتيجية التي يتطلع الطرفان لتحقيقها في هذه المنطقة.

ويركز هذا التقرير على سياسة الأمن الإقليمي للولايات المتحدة، لمختلف أقطار التجمعات الثلاث (الشرق الأوسط _ الخليج العربي _ شمال أفريقيا) ، والدور الذي يمكن أن تضطلع فيه كل دولة أو تجمع ، وعلاقة هذا الدور بالمحدد الأساسي أي الولايات

---

* تقرير أصدره اتحاد جامعات مونتريال للدراسات العربية / بقلم ريكس براينين ، (ترجمة غير رسمية) .

المتحدة ، التي قد تعتمد أحياناً على وكيل لها (إسرائيل مثلاً) .. أو أن تقوم هي ذاتها بحماية مصالحها الاستراتيجية كما هو الحال مع مجلس التعاون الخليجي _ حيث البؤرة المركزية لتلك المصالح .

وارتباطاً بتلك الحماية ، يتعرض التقرير إلى سياسة (الاحتواء المزدوج) التي تمارسها أمريكا على كل من العراق وإيران وكذلك الارتباط الوثيق بين التسويات العربية _ الإسرائيلية من ناحية ، والمصالح الأمنية والاستراتيجية من ناحية أخرى .

- **الأمن الإقليمي في الخليج : أولوية النفط**

يبدو مسؤولو السياسة الخارجية الأمريكيون صريحين عندما يعلنون (أن المبدأ الاستراتيجي الأساس للولايات المتحدة في الخليج .. هو حماية المصالح الأمريكية الحساسة في أمن أصدقائنا والتدفق الحر للنفط بأسعار مستقرة) وخلال سنوات الحرب الباردة ، فإن التهديد الأبرز لهذه المصالح الأمنية كان ينظر إليه بوصفه متمثلاً في الاتحاد السوفيتي . وبموجب (**عقيدة كارتر**) (التي أعلنها الرئيس جيمي كارتر عام ١٩٨٠ ، في أعقاب غزو الاتحاد السوفيتي

لأفغانستان) تم الإعلان عن الخليج منطقة حيوية للمصـــالح الأمريكية . وبذلك الزمت واشـــنطن نفســـها بـــأمرين ، بالإعلان نفسه ، وبالشكل العسكري (قـــوات الانتشـــار السريع ، ثم القيادة المركزية) ، لمجابهة مســـاعي أي قـــوة أجنبية في امتلاك السيطرة .

ومن الناحية العملية ، وحتى خلال الحرب البـــاردة فـــإن التحديات الرئيسية للمصالح الأمريكية لم تنبع عن مصـــادر خارجية ، بل كانت دوماً محلية ، وأبرزها : الثورة الإيرانيـــة عام ١٩٧٩ ومترتباتها ، وكذلك الحرب العراقية ـــ الإيرانيـــة ٨٠ ـــ١٩٨٨ ، وبعد أن توقفت إيران من الآن فصاعداً عن أن تكون زبوناً محلياً ، عملت واشنطن على تطوير حالـــة جمود بين إيران والعراق ، في نفس الوقت الذي سلحت فيه حلفاءها الخليجيين المحافظين وقدمت ضمانات أمنية خارجية لاستمرار التدفق الحر للنفط .

وأثمر كل ذلك في ترجيح ما لكفة العراق في صراعها مـــع إيران، الأمر الذي ترافق مع نشـــاطات بحريـــة أمريكيـــة

(أدت في نهاية المطاف إلى إلحاق أضـــرار فادحــة بـــالقدرة العسكرية البحرية الإيرانية) لحماية الصادرات النفطية الكويتية.

إن مثل سياسة التوازن هذه استمرت حتى ما بعد الحـــرب . قامت الولايات المتحدة بزيادة دعمها لدول مجلس التعـــاون الخليجي ، وتحولت عن علاقتها السابقة بـــالعراق . مـــن الطبيعي أن ترى العراق في مثل هذه الخطوات محاولة لتقـــزيم الاحتياجات والمطامح العراقية ، الأمر الذي أسهم وبشـــكل مباشر في الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ وبالمقابل ، فإن الحرب اللاحقة ، شكلت ضربة قاضية لسياسة (التـــوازن المضاد) وبدلاً من ذلك ، نشأت في التفكير الإســـتراتيجي لفترة ما بعد الحرب الباردة ، وأمن ما بعد حرب الخليـــج في المنطقة ثلاثة عناصر ، وأولها هو ما يسمى بـــ (الاحتـــواء المزدوج) والذي بلوره بعض المسؤولين في إدارة كلينتـــون ، والثاني والثالث يتعلقان بزيادة التعاون الدفـــاعي مـــع دول مجلس التعاون الخليجي ، مترافقاً مـــع اســـتمرار القـــدرة الأمريكية على التدخل العسكري في المنطقة .

- **سياسة الاحتواء المزدوج**

إن مصطلح (الاحتواء المزدوج) يعود بشكل خاص إلى " **مارتين أنديك** " و " **أنطوني ليك** " من مجلس الأمن القومي . ورغم أنه يبدو وكأن وزارة الخارجية الأمريكية قد تخلت جزئياً عن هذا المصطلح ، إلا أن هدف (حصر قدرة كل من إيران والعراق على تهديد الاستقرار الإقليمي) بقي جوهرياً دون مساس .

ففي حالة العراق ، ألزمت الولايات المتحدة نفسها بتوفير الردع العسكري لكل مغامرة عسكرية عراقية محتملة ، في نفس الوقت الذي استمرت فيه باستخدام عقوبات الأمم المتحدة كوسيلة لإبقاء العراق ضعيفاً ، وشجعت واشنطن ، وبأشكال صريحة ، جهود القوى العراقية المعارضة ، متطلعة إلى أي تغيير مستقبلي للنظام . ومن جهة أخرى ، كررت تأييدها (لاستمرار وحدة وسيادة العراق) . وغالباً ما يساء فهم هذا الموقف الأخير في العالم العربي ، حيث من المعتاد أن يرى المعلقون في مناطق الحظر الجوي ومناطق الحكم

الذاتي الكردية مؤامرة " سايكس بيكو جديدة " تستهدف المزيد من شرذمة العالم العربي . ومع ذلك ، فإنه من الناحية العملية، تنتاب واشنطن مخاوف من الثمن المحتمل لتقسيم فعلي للعراق ، وتخشى من أن يؤدي إلى حرب أهلية في العراق ، أو إغراء إيران بتوسيع نفوذها في المناطق الشيعية في هذا البلد.

أما في حالة إيران ، فإن الولايات المتحدة تثير دوماً خمسة ميادين مخاوفها العميقة ، وهي المساعي الإيرانية للحصول على قدرات كيماوية ، نووية وصاروخية عابرة للقارات ، وتورط الحكومة الإيرانية في الإرهاب الدولي ، والدعم الإيراني للمعارضة العنيفة لعملية السلام العربية ـ الإسرائيلية (تهديداتها ونشاطاتها التخريبية ضد جيرانها) ، وأخيرا السجل المحلي لحقوق الإنسان ، وفي مسعى (لإقناع إيران بأنه لا يمكن لها توقع التمتع بعلاقات عادية مع الدول طالما أنها تنتهك المعايير الأساسية للسلوك الدولي) ، عملت واشنطن على زيادة الضغوطات الاقتصادية على طهران ،

كما أنها سعت إلى وضع قيود على نقـــل التكنولوجيـــا في محاولة لوأد الجهود الإيرانية للحصول على أسلحة الدمـــــار الشامل . وقد أكدت واشنطن ، وهي تفعل ذلـــك ، أنهـــا تعارض سلوك الجمهوريـــــة الإســـلامية وليـــس (البعـــد الإسلامي). كما أنها أوحت بأن فتح" **باب الحوار**" ،بـــــل وإقامة "**علاقات طبيعية**" هو أمر ممكـــــن ،ومـــن الناحيـــة العلمية، فإنها لم تفعل ســـوى القليل لتوفير الظروف المناسبة لأي منهما .

إن استراتيجية (الاحتواء المـــزدوج) الـــتي اســـــتهدفت التحديات المحلية"**للعراق وإيران**" تعرضت لانتقادات مـــــن جانب عدد من المحللين الاستراتيجيين الأمريكيين .

وتمثل أحد أبرز هذه الانتقادات في أن مثل هذه السياســــــة أخفقت في الاعتراف بالمصالح الأمنية الحقيقيـــة لإيـــران في الخليج ، وبالغت في التأكيد على حجـــم برامـــج إعـــادة التسلح، وأفرطت في تصوير التهديد الذي تمثله علـــى دول مجلس التعاون الخليجي .

كما أنها أوحت (أي هذه الانتقـــادات) بـــأن السياســة الأمريكية فشلت في الإقرار،ومن ثم استخدام الدرجة النسبية من التعددية السياسية داخل النظام السياسي ...واســتعدت بشكل لا مبرر له الإيرانيين ،الأمر الذي صـــب في نهايــة المطاف في خانة المتطرفين المناهضين للولايات المتحـــدة .وفي حالة العراق ،أوحت ،بأن استمرار الضغط الأمريكي علـــى العراق ،وخاصة من خلال العقوبات التي فرضتـــها الأمـــم المتحدة ،ينذر بخلق ظروف شرذمة سياسية وانهيار في ذلـــك البلد ،الأمر الذي سيؤدي إلى خلق فراغ خطير في السلطة .
وأخيراً ثمة شكوك تحيط بالدعم الأوربي لسياسة الاحتـــواء المزدوج ، وبالتـــالي لقابليـــة الحيـــاة و الموثوقيـــة بعيـــدة المدى،لشركاء
واشنطن من دول مجلس التعاون الخليجي في المنطقة .
ورغم هذه الانتقادات ، فإن من المحتمل ، أن تبقى سياســـة (الاحتواء المزدوج) السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة في المستقبل .وثمة أسباب عديدة لذلك : صعوبة عودة الولايات

المتحدة إلى سياسة (التوازن)بالنظر إلى غربتها عن النظـامين العراقي والإيراني . والدعم المحلي الأمريكي العـــام لهـذه السياسة (التي تتصاحب مع عداء شعبي عميق لكــل مــن الجمهورية الإسلامية في إيران ونظـام صـدام حسـين في العراق) ، والدعم القوي لهذه السياسة من جانب معظـم (إن لم يكن جميع) دول مجلس التعاون الخليجي .

- **دعم دول مجلس التعاون الخليجي**

وكما ذكرنا آنفاً ، فإن العنصر الثاني من سياســة الأمــن الإقليمي الأمريكي في الخليج يتمثل في تعزيـز (القــدرات الدفاعية لأصدقائنا في المنطقة _ كل على حدة ، وبالتعـاون مع شركائهم الإقليميين ، وبالتنسيق مع الولايات المتحــدة والقوى الخارجية الصديقة) . وأبرز مقومات هذا العصـر هو نقل السلاح الهادف إلى (مساعدة كل مــن الـدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي الأخرى . ومنذ عـــام ١٩٩٠ فإن العربية السعودية وحدها قدمت طلبات بحـوالي ٣٠ مليار دولار لشراء معدات عسكرية أمريكية). فيمـا

قامت دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى ، برفع طلبيات كبيرة لشراء أسلحة أمريكية وغربية . وعلاوة على صفقات السلاح ، فإن الولايات المتحدة أجرت مناورات عسكرية مع العديد من دول مجلس التعاون الخليجي . وأنشأت مخازن للسلاح في الكويت ودول أخرى ، وطورت أشكالاً أخرى من التعاون الدفاعي ، كما أنها سعت إلى تعزيز الدفاع والتعاون العسكري المتطور بين الدول الخليجية ، (من خلال تشجيع أعضاء مجلس التعاون على العمل بشكل أكثر منهجية في مجال الدفاع المشترك والترتيبات الأمنية) ورحبت بالعديد من القرارات الخليجية بهذا الشأن .

وينطلق الدعم الأمني الأمريكي لدول مجلس التعاون أساساً من المخاوف الأمريكية تجاه الأمن الإقليمي . كما أنه يخدم تطوير المصالح الاقتصادية الأمريكية من جهة أخرى ، ففي السنوات الأخيرة ، غدت السعودية أكبر مصدّر وحيد يتعاقد مع الشركات العسكرية الأمريكية ، وفي العديد من الحالات تفوقت حتى على البنتاغون . ورداً لجميل الدعم

الأمريكي خلال حرب الخليج ٩٠ ـ ١٩٩١ واستمرار تقديم الضمانات الأمنية فإن هذا ساعد الولايات المتحدة على الحصول على عقود تجارية ضخمة في الكويت ، والسعودية ودول الخليج .

إن الارتباط التجاري والأمني اهتز بعض الشيء في السنة الأخيرة جراء تزايد المصاعب المالية لعديد من دول مجلس التعاون . وهدد البنتاغون ، الذي خشي من عدم قدرة السعودية على تمويل المشتريات العسكرية ، بإلغاء أو تأجيل مبيعات السلاح إذا لم تقم الرياض بوضع خطة واضحة ومقنعة للدفع ، ورغم أنه جرى إنقاذ صفقة بقيمة ٩,٢ مليار دولار في شباط ١٩٩٤ عن طريق إعادة جدولة الدفعات على خمس سنوات (بدلاً من سنتين) إلا أن إدارة كلينتون رفضت التصديق على أي مشتريات سعودية جديدة. وداخل الإدارة الأمريكية ، فإن البعض (وخاصة وزير التجارة (روي براون) ظل من المؤيدين الأقوياء للتأكيد على الوضعية التجارية ، فإن آخرين (في مقدمتهم

وزير المالية لويد بنتسن) باتوا أكثر ريبة .

كذلك تعرقل التعاون الدفاعي الثنائي مع السعودية جـــراء المخاوف السعودية من الثمن السياســـي المــترتب علـــى العلاقات العسكرية الحميمة مع الولايات المتحــدة . وقــد فضّلت السعودية تاريخياً ، وبشكل دائم ، الحفـــاظ علـــى علاقة تسليحية محددة مع الغـــرب محصـــورة في الشـــؤون الأمنية، وبعد حرب الخليج أبدى البعض في واشنطن أملـــه بأن تعاوناً أكثر حميمية وأشد صراحة يمكن أن ينشأ . ومـــع ذلك ، فإنه إثر ازدياد الانتقادات الإسلامية للصلات مـــع أمريكا ، فضلاً عن تنامي السخط المحلي جـــراء الـــتراجع الاقتصادي السعودي ، ظل السعوديون في موضع الحـــذر ، وقد عبر هذا الحذر عن نفسه في رفض السعوديين تمويـــــل إعادة انتشار القـــوات الأمريكيـــة في الخليـــج رداً علـــى الحشودات العسكرية العراقية في خريـــف عـــام ١٩٩٤ في جنوب العراق ، والرفض المؤدب لاســـتضافة المنـــاورات المشتركة الكبير أو إعـــادة تخزيـــن المعـــدات العســـكرية

الأمريكية، وهنا تجدر الإشارة أن هذا لم يكن يشكل عائقاً أمام استمرار السعي المشترك لضمان المصالح الأمنية المتبادلة. فالسعودية ظلت حليفاً وثيقاً للولايات المتحدة ، كما أن الولايات المتحدة استمرت في ضمان أمنها في وجه التهديدات الخارجية ، وفضلاً عن ذلك ، فإن دول مجلس التعاون الأخرى، وخاصة الكويت ، وبما في ذلك البحرين وعُمان وإلى حد أقل دولة الإمارات العربية ، لم تبتعد عن أشكال التعاون الدفاعي الأكثر وضوحاً .

- **القدرة الأمريكية على التدخل العسكري**

رغم أن الولايات المتحدة وفرت لدول مجلس التعاون الخليجي قدرة عسكرية هامة ، إلا أن ذلك ينطوي على شكوك عميقة بشأن قدرة هذه الدول على الدفاع عن ذاتها (وبالتالي عن المصالح الأمريكية) في وجه أي تهديدات مستقبلية من العراق أو إيران . وينبع جزء من هذه الشكوك من قدرات وهياكل القوى في دول مجلس التعاون ، ويعود ذلك إلى جملة أسباب : قلة من التعداد السكاني ، رفض

المواطنين الالتحاق بالمجهود العسكري ، الاعتماد التقني على خبراء أجانب ، الخشية السياسية من تسليح الشعب ـ وهذا ما جعل الحجم الكلي لقوات مجلس التعاون بالغ المحدودية ، ويسهم التوظيف المالي في الأسلحة عالية التقنية ، جزئياً في تعويض هذا النقص ، خاصة بالنظر إلى المستويات المتدنية غالباً للتدريب والتخصيص العسكري . ويمكن للتنسيق المحسن والدمج بين دول مجلس التعاون (وخاصة في مجال الدفاع الجوي المشترك) أن يوفر علاجاً لنقطة الضعف في هذه ، ومع ذلك ، فإن التعاون العسكري الخليجي حالياً ليس أكثر من أمر دعاوى وممارسة على الورق ، تتعرقل بعدم الأهلية العسكرية والمنافسات السياسية المحلية . كما أثبتت صيغة (٦ + ٢) من التعاون المصري والسوري مع الترتيبات الأمنية لمجلس التعاون والتي تم بلورتها في إعلان دمشق ، أنها صيغة فاشلة وذلك جراء التفضيل الخليجي للدور الأمريكي الأمني المهيمن ، ومعارضة إيران لأي مشاركة من خارج المنطقة في ترتيبات أمن الخليج ، وانعدام

المصداقية السياسية ومحصورية الحدود العسكرية للمساعدة الأمنية المصرية والسورية ، وقد خلص أحد الأبحاث المعدة للجيش الأمريكي إلى أنه في حالتي (الاستقلال الدفاعي السعودي) (وتحديداً اعتماد الولايات المتحدة على قدرات عسكرية معززة سعودية / خليجية) (والدفاع العربي الشامل) (وتحديداً : شكل مختلف بعض الشيء عن إعلان دمشق) فإن فرص النجاح (محدودة) ، كونها تبقى (عالية المخاطر على ذات الأهداف التي سعت الولايات المتحدة إلى حمايتها).

وبالنظر إلى ما سبق ، فإن الولايات المتحدة سعت للحفاظ ، بل وتعزيز قدرتها على إبقاء تدخلها العسكري في الخليج ، كما فعلت في عملية درع الصحراء / عاصفة الصحراء . وفي إدارة واشنطن ، فإن " **التخطيط السري** " لوزارة الدفاع لفترة ما بعد الحرب الباردة ، كان يؤكد على أن ((الهدف الشامل (للولايات المتحدة) هو الحفاظ على كونها القوة الخارجية المهيمنة في المنطقة)) ، وتصورت

حرباً إقليمية مستقبلية ضد العراق بوصفها إحدى الصراعات المفترضة التي يجب على القوات الأمريكية الاستعداد لخوض غمارها . ورغم (المراجعة من أدنى إلى أعلى) والتقليصات التي طرأت على الموازنات العسكرية في عهد إدارة كلينتون، إلا أن الولايات المتحدة بقيت ملتزمة عسكرياً بالقدرة على خوض حربين إقليميتين في ذات الوقت وتحقيق النصر فيهما ، والخليج ، فضلاً عن كوريا هما الموضعان الأكثر احتمالاً ، والواقع أن عملية (المراجعة من أدنى إلى أعلى) أعادت التأكيد على أهمية الخليج وكرست موارد أمريكية كبيرة لاستمرار الدفاع عن هذه المنطقة .

وبالنتيجة ، فإن المسؤولين الأمريكيين أكدوا المدى الذي (ستعمل فيه الولايات المتحدة لتعزيز قدراتها الخاصة على العمل بسرعة في المنطقة والإبقاء على قوات كبيرة هنالك) . ويسارع المسؤولون بنفس الدرجة إلى القول ، بأن الولايات المتحدة (لا تنوي الإبقاء بشكل دائم على قوات أمريكية في

أي مكان في المنطقة . وهي سياسة تنطوي على اعتراف صحيح بالتأثير الممكن للوجود العسكري الأمريكي على تراب الخليج ، من حيث إثارته لعدم الاستقرار ، والثقة بالقدرات العسكرية الأمريكية (فيما وراء البحار) و(خلف الآفاق) . وقد برزت هذه القدرة الأخيرة في الانتشار السريع في فريق عام ١٩٩٤ لحوالي ٤٠ ألف جندي و٦٠٠ طائرة حربية و٣٣ سفينة حربية في الخليج ، كذلك تجدر الملاحظة بأنه على النقيض من الفترة التي سبقت أغسطس / آب ١٩٩٠ فإن الولايات المتحدة احتفظت بمجموعة قتالية محمولة في رمال الخليج ، والقدرات الأمريكية بهذا الخصوص سيتم تعزيزها من خلال التأكيد على الحركة وقوة النيران في القوات الأمريكية المستقبلية ، بالإضافة إلى تخزين معدات ومواد حيوية ، وإبرام اتفاقات لتسهيلات دفاعية مع دول مجلس التعاون الخليجي .

● شمال أفريقيا

يعتبر شمال أفريقيا عامة في نظر الولايات المتحدة منطقة أقل قيمة من الناحية الاستراتيجية بالمقارنة مع المشرق العربي والخليج . وبالتالي فإن صناع السياسية الخارجية الأمريكية يميلون في الغالب إلى تأكيد الأهداف الاقتصادية أو السياسة في المنطقة أكثر من المصالح الأمنية ، غير أن أحد الاستثناءات البارزة في هذا المجال هي ليبيا ، حيث تشدد الولايات المتحدة على ضلوعها في الأعمال الإرهابية ، وعلى ضرورة أن (توقف) حكومة القذافي (دعمها للنشاطات المثيرة لعدم الاستقرار ، وتتخلى عن برامج الأسلحة الكيماوية وأسلحة الحرب غير التقليدية الأخرى وتتوقف أيضاً عن السعي للحصول على قدرات صاروخية عابرة للقارات ذات طبيعة هجومية) . وكما هو الحال مع إيران والعراق ، فإن الولايات المتحدة سعت إلى عزل هذا النظام ، وقد فرضت الأمم المتحدة عقوبات على ليبيا لعدم إذعانها لطلب تسليم (مشبوهين) بتفجير طائرة بان أمريكان ١٠٣ فوق لوكربي

في اسكوتلندا ـ الأمر الذي يعتبر عنصراً مركزياً في هـذه المساعي الأمريكية . وفي الجزائر ، تعبّر الولايات المتحدة عن قلقها حيال المستوى الراهن للصراع الأهلي ، فضلاً عـن احتمالات تسلم إسلاميين متشددين السلطة في هذا البلـد . وهذا الاحتمال الأخير ـ حسب المسـؤولين الأمريكيـين (سيكون ذا أثر بعيد المدى ليس على الجزائر نفسها وحسب بل سيشجع المتطرفين في مصر وتونس والمغرب وهم حلفاء رئيسيون للولايات المتحدة في المنطقـة ، كمـا أن عـدم الاستقرار في الجزائر يمكن أن يدفع إلى موجات من الهجـرة إلى فرنسا ومناطق أخرى في أوروبا الغربية) . ومن الهـلم في هذا السياق أن الولايات المتحدة تشـدد أيضـاً علـى أن مساعي قمع التمرد عبر الوسائل العسكرية سيكون عمـلاً غير كاف وأن الأمل الأفضل في إيجاد حل يضمن السـلم الداخلي في الجزائر .. ويسهم في الأمن الإقليمي بعيد المدى، لا يمكن في اسـتراتيجية القمـع ، وإنمـا في اسـتراتيجية الاستيعاب والمصالح . وبالنتيجة ، فإن واشنطن لم تقـدم أي

دعم أمني للنظام الجزائري رغم أنهـــا ، ســـوية مـــع دول أوروبية أخرى نظرت بعين العطف إلى طلبات إعادة جدولة ديون الجزائر الدولية . كما أنها طالبت الحكومة الجزائريـــة بالإبقاء على باب الحوار مفتوحاً مع القـــادة الإســـلاميين المعتدلين .

****

١٦- ثلاث خطط أمريكية لاحتواء العراق*

قبل أربعة عقود ، هدد دكتاتور من العالم الثالث مصالح الولايات المتحدة في منطقة بالغة الأهمية ، فأقنع صانعو السياسة الأمريكيون أنفسهم ، وهم لم يكونوا يرغبون في دفع تكاليف الإقدام على غزو بلد ذلك الدكتاتور أو تسوية القضية باحتوائه ، أقنعوا أنفسهم بأن ثمة خياراً ثالثاً رخيصاً وسهلاً ، يتمثل في تقديم الدعم لبعض معارضي الدكتاتور المحليين الذين افترض الساسة الأمريكيون أن جهودهم ستحفز قيام انتفاضة شعبية تفضي إلى سقوط نظامه . لكن محاولة المنفيين الكوبيين غزو خليج الخنازير التي نجمت عن تلك السياسية ، تحولت إلى واحد من أسوأ اخفاقات تاريخ السياسة

---

* مقتطفات مما نشرته مجلة فورين افريزر الأمريكية في عددها كانون الثاني يناير ١٩٩٩ بعنوان ثلاث خطط لاحتواء العراق .

أعد الدراسة : **دانييل بيمان** _ محلل سياسي في مؤسسة راند ، **كينث بولاك** _ كبير الباحثين في جامعة الدفاع القومي ، **جدعون روز** _ نائب رئيس مركز دراسات الأمن القومي ، وزميل في مركز العلاقات الخارجية .

نشرتها صحيفة الوطن العراقية المعارضة العدد (٧٢) شباط ١٩٩٩ / ص ٧ /

الخارجية الأمريكية.

- **الفكرة الأكثر سخونة :**

واللافت أن المفهوم ذاته _ استخدام المعارضة العراقية لإسقاط صدام حسين _ هو أكثر الأفكار سخونة في **أروقة وزارة الخارجية الأمريكية هذه الأيام** ، فالجميع من أعضاء الكونغرس والمسؤولين الحكوميين السابقين ومعظم الصحف والمجلات الرئيسية مثل **(ويكلي ستاندار)** و **(وناشيونال رفيو)** و **(كومنتيري)** و **(نيو ريبليك)** ، إضافة إلى **كتاب الأعمدة الرئيسيين في** نيويورك تايمز و(الواشنطن بوست) و (نيشن) يعبّرون عن تأييدهم للمعارضة العراقية ، وهي السياسة التي أصبحت تمثل الخيار الأبرز للسياسة الراهنة لادارة كلينتون . فقد تلقى الرئيس كلينتون مؤخراً رسالة تحثه على دعم معارضي صدام بقوة وفعالية أكبر ، ووقّع عليها ثلاثة **من مستشاري الأمن القومي الجمهوريين السابقين ، وثلاثة** من وزراء الدفاع الجمهوريين السابقين ، **وسبعة** من المسؤولين الحكوميين الجمهوريين السابقين وأيد الفكرة المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية **جيمس وولسي** .

ونتيجة لذلك ، **صادق الكونغرس** بعجل على **"قانون تحرير العراق"** الذي ينص على تخصيص ٩٧ مليون دولار كمساعدات لمجموعات المقاومة الداخلية لنظام صدام ، و لم يكن البيت الأبيض أقل حماساً لمثل هذا التوجه ، فسارع كلينتون للتوقيع على القانون من دون تأخير . وبعد اندلاع مواجهة أخرى مع العراق حول التفتيش على أسلحة الدمار الشامل العراقية في شهر نوفمبر الماضي . أخذ الرئيس كلينتون يتحدث بنفسه عن (التعاون مع قوى التغيير في العراق) **ونية إدارته العمل من أجل إقامة حكومة جديدة في بغداد تلتزم بتمثيل شعبها واحترامه ، لا قمعه*** .

- **ما وراء التحول :**

والفكرة الأساسية التي تكمن وراء هذا التحول بسيطة ، وهي أن الولايات المتحدة ينبغي ألاّ تقبل باستمرار حكم صدام حسين ، وأن تساعد في دفع المعارضة العراقية لإسقاطه .

فكما قال زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الجمهوري **ترينت لوت فإن** " المبدأ هنا هو إسقاط وليس احتواء " **صدام حسين"** .

---

* (خرق صارخ للقانون الدولي)

وكتب نائب وزير الدفاع الجمهوري الأسبق بول وولفوتيز في **مجلة (نيوروبيبليك)** يقول أن " إسقاط صدام هو النتيجة الوحيدة التي يمكن أن تلبي المصلحة الحيوية الأمريكية المتمثلة في منطقة آمنة ومستقرة في الخليج ، لأن النظام العراقي ــ وبشكل يكاد يكون فريداً بين الدكتاتوريات الراهنة ــ هو صدام حسين ... فالغالبية العظمى من الشعب العراقي تتمنى زواله ، وأن كان أحد لا يفصح عن ذلك إلاّ من يود الموت ، انه من الواجب علينا مساعدة هذا الشعب ".

وبالإضافة إلى ذلك ، يمكن افتراض إمكانية استبدال نظام صدام بتكلفة أقل نسبياً ، وحتى من دون اشتراك قوات برية أمريكية. وقال وولفتيز في **شهادة له أمام الكونغرس** أنه يمكن تخليص العالم من صدام إذا بادرت إدارة كلينتون إلى " **حشد القوة الضرورية لتحقيق الهدف** ".

- **اختبارات :**

ولكن البعض يجادل بعدم صحة هذه النظرية ، ويقولون أن حتى لو كانت هناك رغبة في اسقاط صدام ، فإن أية سياسة لتحقيق

هذا الهدف يجب أن تجتاز ثلاثة اختبارات قبل اعتمادها بشكل جدي، فلا بد أن تكون قابلة للتحقيق من الناحية العسكرية ، ويمكن تسويقها على حلفاء الولايات المتحدة الذين سيكون تعاونهم مطلوباً لتنفيذها ، ومقبولة من قبل الرأي العام الأمريكي .

فكل خطط اسقاط النظام الراهنة التي تشمل المعارضة العراقية ، لا تزال قاصرة وأولئك الذين يراهنون على هذا العلاج للأزمة العراقية باعتباره الأمثل للسياسة الأمريكية الراهنة ، هم ـ بالتالي ـ إما غارقون في التفكير الحالم ، أو الألعاب السياسية العبثية . وفي كلتا الحالتين ، فإن استبدال سياسة الاحتواء بإسقاط صدام سيكون خطأ فادحاً قد يقود ببساطة ، إلى فقدان آلاف الأرواح من دون داع .

- نهج استخدام القوة الجوية :

على العكس من الانطباع الذي يشيعه بعض أنصار المعارضة العراقية للأمريكيين ، فإنه لا توجد خطة معينة لإسقاط نظام بغداد . وبدلاً من ذلك ، هناك ثلاث أفكار متصارعة من أجل المضي قدماً في خطط إسقاطه : الأولى : استخدام الضربات الجوية ؛

والثانية : مساعدة المعارضة في الاستيلاء على مساحات واسعة من العراق ؛ **والثالثة** : رعاية حربَ عصابات تشن ضد النظام .

الأولى : تتطلب تضافر جهود الولايات المتحدة والمعارضة العراقية من أجل القيام بعمل عسكري مؤثر ضد النظام العراقي . ولكن المشكلة هنا ، أن **العبء الأكبر** يقع على عاتق الولايات المتحدة التي ستتحمل تكاليف باهظة من دون أن يوجد ما يضمن نجاح مثل هذه العمليات .

ويتطلب نهج الضربات الجوية من الولايات المتحدة ، **مساعدة المعارضة العراقية على تجنيد وتدريب وتسليح عشرات الآلاف من الجنود من أجل شن حرب تقليدية محدودة** . وحين يكون مثل هذا الجيش جاهزاً للسيطرة على الميدان ، تشن الولايات المتحدة هجوماً ضد قوات صدام للإجهاز على تشكيلاته المقاتلة ، وإمداداته ، وبُنى القيادة والتحكم ، ومواقعه الخلفية .

وفي هذه الحالة ، **تقوم قوات المعارضة بالزحف** تحت غطاء الضربات الجوية ، بحيث تجبر قوات صدام على التجمع لخوض المعركة ، وبالتالي ، تصبح هدفاً سهلاً للطيران ليقوم بتدميرها . وإذا

ما تراجعت القوات المدافعة عن النظام أو تفككت ، تتقدم قـــوات المعارضة لاحتلال المزيد من الأرض ، وتكمل طريقها إلى بغـــداد لإقامة حكومة جديدة .

ولهذه الخطة ميزتان : الأولى : تقر أن إلحاق الهزيمة بقـوات صدام المسلحة سيكون صعباً ، وأنه ليس بوسع المعارضة العراقيـة أن تحقق هذا الهدف من دون دعم عسكري أمريكي مكثف.

والثانية : أن الخطة قد تكون مقبولـة لحلفـاء الولايـات المتحدة، الذين أشاروا في أوقات سابقة ، إلى أنهم قد يرغبون في تأييد سياسة متكاملة لإزاحة صدام إذا اقتنعوا أن مثل هذه السياسة ستنفذ حتى النهاية.

فعلى الرغم من أن أصدقاء الولايات المتحـــدة في أوروبـا والشرق الأوسط عارضوا بشكل عام ، استخدام القوة ضد العـراق أثناء الأزمة الأخيرة إلاّ أن قليلاً منهم سيكون آسفاً لرحيل صـــدام طالما أن ذلك يفضي إلى الاستقرار الإقليمي، وطالما لا يؤدي ذلك إلى المسّ بالحدود الوطنية لدول المنطقة. وهم قد لا يقبلون بإسقاط صـــدام عسكرياً، إلاّ إذا وجدوا أن الولايات المتحدة تصرّ إصراراً على ذلك .

- **الفخ الأمريكي :**

ولكن الفخ هنا، أن الخطة تتطلب حملة جوية أمريكية مكثفة، ومع ذلك قد لا تحقق المعارضة النصر . صحيح أن قدرات العراق العسكرية التقليدية أصبحت محدودة جداً الآن، فالقوات العراقية قد لا تشكل مقاومة تذكر أمام القوات الأمريكية أو الغربية. ومع ذلك، فإن هذه الوحدات نفسها قد تشكل نداً عنيداً لقوات المعارضة . فالجيش العراقي يتألف الآن من ٤٠٠ ألف جندي نظامي بما في ذلك حوالي مائة ألف جندي من قوات الحرس الجمهوري والحرس الجمهوري الخاص . ويمتلك صدام أيضاً ألفي دبابة و ٢١٠٠ قطعة مدفعية .

ولن تستطيع قوات المعارضة ذات التسليح الخفيف الصمود أمام قوات النظام في معركة مفتوحة، ولاسيما أمام قوات الحرس الجمهوري . وهكذا، ولأجل نجاح مثل هذه الخطة، فإنه يتعين على القوات الجوية الأمريكية تدمير كل أشكال المقاومة المنظمة للمؤسسة العسكرية العراقية . وهذا يتطلب جهداً كبيراً ومطلقاً على مدى عدة أشهر، وربما على نطاق شبيه بما حدث أثناء حرب الخليج /٩١/.

وعلى الرغم من أن الشعب الأمريكي يعارض نظام صدام حسين بقوة، إلاّ أنه من غير المحتمل أن يؤيد حملة طويلة ودموية ضد العراق .

والقوة الجوية وحدها لم تجبر أبداً نظاماً معادياً على التنازل عن السلطة . فالقليل من الوحدات العسكرية العراقية تفككت فعلياً، أو استسلمت بشكل جماعي أثناء عملية عاصفة الصحراء . والوحدات التي فعلت ذلك، كانت تخشى من هجوم بري وشيك تقوم به قوات التحالف، وهو الخوف الذي لن تشعر به مثل هذه الوحدات من قوات المعارضة . وكذلك، لم تصب وحدات الحرس الجمهوري بالتصدع، على الرغم من أن بعضها تعرض لآلاف القنابل .

وباختصار، فإن من غير المضمون في أحسن الأحوال، ومن الغباء في أسوئها، القول أن القوات الجوية الأمريكية وحدها، يمكن أن تقضي على القوات البرية العراقية ، وتمكن جيوش المعارضة من التقدم إلى بغداد دون مقاومة .

لكن المشكلة أن خطة المؤتمر الوطني العراقي تشوبها

العيوب، وتفتقر للواقعية بشكل يقود حتماً إلى سـيناريو مكـرر لأزمة "خليج الخنازير" في كوبا إذ سيواجهِ المسؤولون الأمريكيون في نهاية الأمر، خيار التدخل المباشر، أو يُسحق المعارضون العراقيون أمام أعينهم، كما حدث لمحاولة التمرد التي قادها المؤتمر الوطني العراقي في شمال العراق خلال الفترة من ٩٢ ـ ١٩٩٦ .

وكما لاحظ المحلل الاستراتيجي في معهد الشرق الأوسـط اندرو باراسيليتي فإن " المؤتمر الوطني العراقي " يتمتـع بالتـأييد في حوض نهر بوتوماك (بالقرب من واشنطن) أكثر مما يحظى بـه في "حوض نهر الفرات".

وتتألف قوات المعارضة في ٩٩ في المائة منها، مـن جنـود تابعين للفصيلين الكرديين الرئيسين في شمال العراق وهما الحـزب الديموقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني والاتحاد الوطـني الكردستاني بزعامة جلال الطالباني، والواحد في الجنـوب تابعـة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق . ولكل من مجموعات المعارضة العراقية برنامجها الخاص، وكلها نأت بنفسها عن المؤتمـر الوطني العراقي. ويقول زعماء الفصائل الثلاثة الآن، أنهم يرغبون في

التنسيق مع المؤتمر الوطني، لكن لا يؤكدون أن المؤتمر الوطني لم يعد يعمل من أجل قضية المعارضة، ففي شهر سبتمبر الماضي، وافق البرزاني والطالباني على دعوة للاجتماع بزعماء الكونغرس، لكنهما اعتذرا حين علما أن الدعوة قد وجهت للحلبي أيضاً .

إن المعارضة في الداخل منقسمة على نفسها، وحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة لا يؤيدون الخطة، فالكويتيون والسعوديون والأردنيون والأتراك يعارضون بشدة كل محاولات إسقاط النظام التي لا تتضمن الاستخدام المباشر للقوات العسكرية الأمريكية لضمان تحقيق الانتصار، وذلك لخشيتهم من أن أية محاولات لا يعدّ لها جيداً سوف تفشل وتتركهم يواجهون غضب صدام

- **النهج الأفغاني :**

الخيار الثالث لإسقاط النظام ـ النهج الأفغاني ـ يتطلب من الولايات المتحدة مساعدة المعارضة على شن حرب على النمط الذي استخدمه المجاهدون الأفغان ضد الاتحاد السوفيتي السابق وثوار الكونترا في نيكاراغوا أو ثوار الفيتكونغ في فيتنام. ولكن المشكلة أن

شرط نجاح مثل حرب العصابات هذه هو وجـود دولـة مجـاورة صديقة (للمعارضة) ترغب في توفير قاعدة آمنة للثوار، ولا توجـد مثل هذه الدولة التي يمكن أن تسمح بذلك .

وتستلزم حرب العصابات من الولايات المتحدة مسـاعدة المعارضة العراقية على إنشاء منطقة حظر جوي على مقربـة مـن مسرح العمليات، ومن ثم تجنيد وتدريب وتسليح قوة يمكنها شـن حرب عصابات ضد نظام صدام.

وتعتبر حرب العصابات استراتيجية الضعفـاء الذيـن لا يمكنهم تحقيق النصر إلاّ من خلال استنزاف قوة الخصم وتعزيز قوتهـم ببطء. فالمعارضة العراقية ، باتباعها نهج ماوتسي تونغ الكلاسـيكي الذي يتألف من ثلاث خطوات _ اتخاذ موقف دفاعي، وجر الخصم إلى مأزق ثم بدء الهجوم _ يمكنها تجنب خوض معارك تقليدية مـع الجيش العراقي إلى أن تتاح لها الفرصة لتحقيق الانتصار، فبعد عـدة سنوات، ستتاح الفرصة للمعارضة لإسقاط نظـام صـدام وتـولي السلطة في العراق .

بيد أن الخطة الأفغانية هي أنها ليسـت مقبولـة لحلفـاء

الولايات المتحدة في المنطقة الذين ستكون ثمة حاجة لمساعدتهم من أجل نجاحها . إن نجاح حرب العصابات يتطلب وجود منطقة خلفية آمنة يمكن اللجوء إليها للحماية والقيام بعمليات التدريب وعلاج المصابين وتجميع الأسلحة والإمدادات والإعداد لعمليات جديدة والانسحاب من اجل إعادة تنظيم صفوفها لمواجهة الهجمات الحكومية .

لقد لعبت باكستان هذا الدور للمجاهدين الأفغان، ولعبته هندوراس لثوار الكونترا ولعبته جنوب أفريقيا لحركة يونيتا (انغولا) ولعبته الصين وفيتنام الشمالية لاحقاً لثوار الفيتكونغ وهكذا . **ولكن لا توجد دولة مجاورة للعراق تقبل استضافة قوات المعارضة في أراضيها اليوم**، وأي دولة من دول الجوار ليست على استعداد للعيش في حالة حرب مفتوحة مع العراق طوال الفترة التي قد تأخذها عملية إسقاط النظام .

١. ويمكن استعراض موقف الدول المرشحة لمثل هذا الدور بسرعة، **فالمملكة العربية السعودية**، أشارت تكراراً من خلال مسؤوليها إلى أنها لا ترغب في دخول حرب لأجل غير مسمى

مع العراق، فضلاً عن أن الأراضي السعودية الواقعة على الحدود مع العراق هي عبارة عن صحراء ليست مأهولة كثيراً بالسكان، ومن الصعب استخدامها لشن حرب عصابات .

٢. والكويت التي تتوق لرحيل صدام ، تتخذ موقفاً حذراً إزاء المشاركة في أعمال حربية طويلة المدى، وكذلك فإن حدودها مع العراق هي عبارة عن صحراء غير مأهولة، والأردن، الذي ساند محاولات سابقة للإطاحة بصدام، ظل يحجم عن السماح بقيام عمل عسكري مباشر ضد العراق عبر أراضيه، وكذلك فإن حدوده مع العراق عبارة عن صحراء قاحلة وخالية من السكان .

٣. أما سوريا فظلت على الدوام عضواً متردداً في التحالف الدولي المناوئ لصدام، ولم تكن ترغب أبداً في المشاركة بعمل عسكري مباشر ضد العراق، حتى أثناء حرب الخليج، وأيضاً، فإن حدودها مع العراق غير مأهولة في معظمها .

٤. هذا الوضع يحصر المرشحين لاستضافة قوات المعارضة العراقية بدولتين هما تركيا وإيران، تركيا تتمتع بوضع جغرافي

ات، فالحدود التركية _ العراقية تتألف من جبال تكسوها
ابات ومأهولة بالسكان، ولكن لسوء الحظ أن الأتراك خرجوا
السباق لأنهم يدركون أن أي تمرد ضد صدام يتركز في تركيا
نال العراق سيؤدي إلى استقطاب للأكراد وتخشى أنقره من
مساندة مثل هذا التمرد سيغذي التطلعات السياسية الكردية
كل عام،ويقوي شوكة المتمردين الأكراد في أراضيها.
لرغم من المناشدات المتواصلة من المسؤولين الأمريكيين، يحبذ
تراك بقاء صدام في السلطة، بل أنهم يؤيدون محاولاته لفرض
يطرته على مناطق شمال العراق الكردية .

أما إيران _ المرشحة الأخيرة فتمتلك تضاريس مثالية يمكن
قوات المعارضة العراقية استخدامها وفي الواقع*، فقد رعت
طهران الفصائل الشيعية والكردية طوال العقود الأربعة الماضية،
فالحدود الإيرانية _ العراقية تتكون من الكثير من الجبال
والتلال والغابات والمستنقعات ويعيش فيها عدد كبير من
السكان، ومع ذلك، فإن غياب التفاهم بين الولايات المتحدة

نظر / علاقات إيران الإقليمية ومصادر الخطر الحقيقية من كتابنا .

وإيران يشكل عقبة كأداء أمام تعاون مناوئ لصدام بينهما .

وهناك مشكلات أخرى تعترض النهج الأفغاني تنبثق من الوقت الطويل الذي تستغرقه من أجل أن تنجح :

أولاً : أن حرب العصابات طويلة المدى في العراق ستلقى معارضة من الرأي العام العالمي، وستجد الولايات المتحدة نفسها معزولة بشكل متزايد في الأمم المتحدة وفي محافل أخرى، الأمر الذي قد يلقي بظلاله على قضايا السياسة الخارجية الأخرى بما في ذلك بقاء العقوبات وأنظمة التفتيش التي تُبقي صدام ضعيفاً نسبياً ومحتوى .

ثانياً : يمكن أن تؤدي مثل هذه الخطة في نهاية المطاف إلى التخلص من صدام، ولكنها لا تتحدث بشيء حول كيفية التعاطي مع التحدي الذي يمثله صدام في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور . ويمكن للولايات المتحدة بتبني النهج الأفغاني، أن تجد نفسها متورطة في ثورة لا تزال في أطوارها الأولى في وقت يتخلص فيه العراق بشكل متزايد، من القيود الدولية .

وباختصار قد تجد إدارة كلينتون نفسها مضطـــرة لوضـــع العراق على رأس برنامجها للسياسة الخارجية وإبقائه كذلك للمستقبل المنظور وبذل جهود دبلوماسية مكثفة لإبقاء صدام في صندوقـــــه . والمفتاح بيد واشنطن لتجنب الأوهام المتصلة بتقوية المعارضة العراقية. وينطوي قانون تحرير العراق على التضليل الأكبر لأنه يشجع علـــى توقعات غير واقعية وحصره للمجموعات العراقية الـــتي يمكـــن أن تحصل على المساعدات وليس لأنه يسمح بتقديم بعض المســـاعدات العسكرية للمعارضة العراقية . ويجب على الولايات المتحدة كذلـك، محاولة تقوية معارضة داخلية لصدام تتمتع بقاعدة واســعة . وربمـــا كانت الدعاية التي يطلقها المؤتمر الوطني العراقـــي في هـــذا الشـــأن صحيحة .إذ أن وجود منظمة تشكل مظلة لكل فصائل المعارضـــة ، هو العامل الوحيد الكفيل بتوحيد العناصر اليائسة في الحركة المناوئة لصدام، لاسيما إذا وفرت لها الولايات المتحدة المســـاعدة للأكـــراد والشيعة بشكل منفصل . ويجب على واشنطن أن تقنـــع حلفاءهـــا الإقليميين المتشككين والغالبية العراقية السنية، إنها لا تـــزال تســـعى لعراق موحد وليس مقسماً إلى دويلات صغـــيرة وأنهـــا تعـــارض

المحاولات الكردية والشيعية للهيمنة عليهم .

وإذا ما اختارت واشنطن أن يكون المؤتمر الوطني العراقي هو الذي يلعب دور المنظمة المحللة، فلا بد من تقويته بحيث يستطيع تعزيز نفوذه داخل العراق واجتذاب المزيد من الجنود تحت لوائه . ويتعين على الولايات المتحدة أن تساعد في رعاية الجهود الدعائية لصالح المؤتمر (مثل محطة الإذاعة التي أنشأت مؤخراً تحت اسم راديو العراق الحر) ومن خلال تقديم الدعم المادي وربما الأسلحة والتدريب العسكري فيما بعد . والخطوة التي لا تقل أهمية هي مساعدة واشنطن في الضغط من أجل التخلص من القادة غير الفاعلين في المؤتمر الوطني وتوسيع نطاق المشاركة فيها وتنويعها، وكسب ود مجموعات المعارضة العراقية الرئيسية الأخرى .

ولابد أن تكون هذه السياسة مقبولة داخلياً لأنها تعزز مصالح الولايات المتحدة في الوقت الذي تحد فيه من تدخلها . وبالمقارنة مع أحلام إسقاط النظام العراقي، فإن استخدام المعارضة كجزء من سياسة الاحتواء بعد تفعيلها لا يتطلب مبالغ كبيرة من المال أو قوات مسلحة إضافية . ولكن الخطر الأكبر في الواقع،

سيكون قيام النظام بإسكات التأييد الداخلي لهـــذه السياســة . **إن إسناد سياسة الاحتواء بتقديم المساعدة الكافية للمعارضة العراقيــة** لمواصلة نشاطها ومضايقة نظام صدام لن يحتل صدارة عناوين الكثــير من الصحف، أما الاحتواء المحدود فلن يمنـــح الولايــات المتحــدة بالضرورة، ما تريد، ولكنه قد يساعدها في الحصول على ما تحتاجه .

****

١٧- نصّ كلمة فخامة الرئيس سيد محمد خاتمي

رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

مكتبة الأسد - دمشق

مايو (أيار) ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

يطيب لي أن ألتقي جمعاً من مفكري العالم الإسلامي والعربي لأتحدث إليهم عن كثب .

إن حضوري هنا بين هذه المجموعة المفكرة الإسلامية والعربية بصفتي ممثلاً للثورة الإسلامية الكبرى بقيادة فقيد الأمة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه - والشعب الإيراني الشريف وبصفتي رئيساً لمنظمة المؤتمر الإسلامي يعد فرصة ثمينة لإلقاء نظرة سريعة على مكونات هويتنا الفكرية والحضارية الإسلامية ، وأصولها الممتدة في عمق تاريخنا المشرق لنتبصر حاضرنا ونستشرف مستقبلنا من خلال تكوين إدراك موحد لهذه الهوية ، ولمراجعة أفكارنا وممارساتنا ومناهجنا ، من أجل أن نلتقي بحضارتنا وثقافتنا بما يتناسب مع واقع

العالم الراهن ، ومقتضيات حياة الإنسان مستقبلاً ، لا سيما مستقبل الأمة الإسلامية بشعارها الخالد : (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) .

لقد امتزجت هويتنا بالإسلام . وحضارتنا وثقافتنا المشتركة مدينة بالدرجة الأولى إلى الدين الذي يستمد أصوله من مصدر الوحي السماوي ، ليستقر بالأرواح ، وينمو في فكر العقلاء ويتبلور داخل المجتمع .

إن اهتمامنا بهذا الدين وسعينا لإحياء وتجديد الحضارة الإسلامية لم يكن بدافع النزعة الرجعية أو الهروب من الواقع إلى الذكريات العذبة ، وإنما من أجل تثبيت الهوية وبقائها شامخة في ساحات التنافس الشديد لتستمد من التراث الحضاري ، وتسجل حضوراً قوياً على الساحة .

اليوم نحن بحاجة إلى الإحياء كحاجتنا إلى التجديد رغم اختلاف الظروف الاجتماعية ، والسياسية ، والإقليمية ،والاقتصادية بحياة الأمة عما كانت عليه في السابق .

إن شعار (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) الخالد ، من خلال وعينا للعالم المعاصر ، لا يعني التسلط على الآخرين وإنما

يستلهم معناه من عظمة ورقي الأمة الإسلامية على المستوى القطري والإقليمي والدولي ، والذبّ عن حياة الأمة على هـــذه المســتويات الثلاثة . فبعده الأول ، بشيء من التسامح ، هو التنمية وبعده الثــاني هو الأمن .

على المستوى القطري ، هناك التنمية الشــاملة والمســتمرة واستحصال ثرواتنا المادية والمعنوية وإقامة أنظمة اجتماعية عقلانيــة ثابتة ناشئة عن احترام حقوق الإنسان وزيادة الإبـــداع والإنتــاج الوطني إلى جانب الاهتمام بالأمن ، الذي يستلزم الابتعاد من مختلـف الثغرات كثغرة القومية العنصرية والخلافات الحدودية وغيرها ، الـــتي ورثناها عن الاستعمار القديم أو ما يســتخدمه المســتعمرون ضــد مصالحنا ، لنغفل عن المخاطر الأمنية التي تهدد كيان الأمة . إن كــل ذلك سيساهم في رسم مستقبل أفضل .

وعلى المستوى الإقليمي ، فإن التنمية رهن باعتماد تقســيم جديد للأنشطة يتم على أساس القـــدرات والامتيــازات النســبية والتعامل بمحبة داخل مجموعة العالم الإسلامي مــع التغلــب علــى التخلف باعتماد الإمكانيات والقدرات الكثــيرة لمجموعــة العــالم

الإسلامي إلى جانب الاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة .

إن تحقيق هذا الهدف يتطلب الاهتمام بأمن المنطقة الذي يحتم على الأمة أن تحافظ على وحدتها المتزامنة مع قبول التعددية المذهبية والقومية وغيرها والتحمل والصبر داخل المجموعة ، والثبات والصمود والتعامل العقلاني مع الآخرين . وهذا يتطلب تسوية الخلافات داخل العالم الإسلامي على أساس الحوار والتفاهم وعدم فتح المجال للاعتماد على القوى الأجنبية من اجل موازنة القوى ، كما يطلب الوعي والصمود اتجاه الأعداء وعلى رأسهم العدو الصهيوني .

أما على المستوى الدولي ، يعتبر التعمق في معرفة الأسس النظرية والتاريخية للحضارة الجديدة ضرورياً قبل الاطلاع على العلاقات الدولية ، والتعرف على نادي القوى العالمية ، ومراكز النفوذ ومسكراتهم واتجاه التغيرات الدولية الراهنة ، إضافة إلى تقييم حقيقي لموقع العالم الإسلامي ، لأن مساهمة حضارة المسلمين العريقة في ظهور الحضارة السائدة المسؤولة عن هذه التطورات شيء لا ينكر والمنطق يقتضي التعامل معها من موقع العزة . إن تفاعل الحضارة الإسلامية والحضارة الإغريقية الذي مر الجانب الغربي منه بمنعطفات

العصور الوسطى وصولاً إلى العصر الحديث كان له أبعد الأثـــر في تكوين تيار العقلانية في الغرب . والمصالحة النظرية بين العقلانيــة الإغريقية والإيمان المسيحي التي نهض بها فيمن نهــض القديــس أكويناس كانت مستمدة من المدرسة المشائية للفلسفة الإســلامية ناهيك عن مساهمة العظماء كابن رشد في شرح العقلانية الإغريقية حتى بالنسبة إلى الغرب .

إن الارتكاز على العقل في المعرفة والسلوك لم يكن وصيــة أخلاقية ودينية فحسب وإنما هو البنية الأساسية والإطار الغــالب للثقافة الإسلامية ، وكان المنطلق لظهور المدارس النظرية المختلفــة ، سواء بالكلام أو الفلسفة والفقه والأدب ، أي ما أنتجته الحضارة من مؤلفات نظرية ، أو ما صاغته نموذجاً للسلوك السياســـي ، وهــو الركن الآخر من أركان الحضارة ثم إن السجالات النظريــة حــول حجية العقل ، وعلاقة العقل بالوحي والقضايا المرتبطة بهـــا قــد ظهرت بالغرب متأخرة جداً من الناحية التاريخيــة عــن العــالم الإسلامي .

وكان للنتاج العقلي للحضارة الإســلامية دور واضــح في

تكوين رصيد العقل السابق في حين بدأت الحضارة العالمية الجديدة حديثاً باستعراض آرائها ، وقدراتها ، وقيمها وسلوكها .

إن بعض جوانب هذه الحضارة كالعولمة والعلمانية ترتبط مباشرة بواقعنا كمجتمع إسلامي ومن هنا يطفح الخوف والأمل فينا وتتأكد مسؤوليته إحياء وتجديد الحضارة والثقافة وفق اتجاه منطقي وعقلاني .

أما الخوف فلأننا قد نواجه هذا الواقع منبهرين ، مستلبي الهوية الثقافية والحضارية . أو أن نلجأ إلى معارضة عاطفية عمياء .

وأما الأمل فلأن تراثنا الثقافي الحضاري الغني بماله من الدور المتميز في بلورة الحضارة المعاصرة يستطيع أن يفتح الطريق أمام الاختيار الصحيح والتعامل العقلاني . فعلينا في إطار مراجعة أسس الثقافة الإسلامية إحياء هويتنا المتفتحة وإثرائها وتخليدها عبر انجذاب المعطيات الفكرية والثقافية للحضارة الحديثة ضمن صيانتها مما يبدو حتى في نظر المفكرين الغربيين المنصفين ، آفلت تهدد المجتمع البشري بعامته .

ومن حسن الحظ أن بنية الثقافة الإسلامية وتوجهها نحو

الرقي وطلب الحقيقة والسلام والعدالة التي هي **محور الإسلام ، تعد أفضل أرضية لفتح باب الحوار** . كما أن العطاء الثقافي للحضارة الإسلامية السابقة يؤكد إمكانيتنا في تأسيس قاعدة صلبة في التعامل الحضاري في إطار الأهداف الإنسانية ، حاضراً أو مستقبلاً .

نحن اليوم ، كما في السابق ، نستطيع أن نقيم جسراً حضارياً يعتمد على حوار الحضارات وممارسة نقد العقلية المعاصرة. ونستطيع أيضاً أن نمتلك النواة المشتركة للأديان الإبراهيمية لنصوغ شعار الإنسانية المشترك من داخل التعاليم المختلفة ، ونجعله نموذجاً تقتدي به البشرية في حركتها نحو مستقبل متفائل .

وعلى هذا الأساس فإن التحديات التي تواجه العالم الإسلامي والتي تنجم عن ممارسات القوى التوسعية الهادفة إلى التسلط السياسي أو عن التخلف الاقتصادي أو التصدع الأمني أو الاجتماعي للدول الإسلامية أو الخلافات الداخلية بين أبناء الأمة حول المصالح ، يجب أن تقيم وتدرس في ظل الإطار الشامل المرسوم بالأمة وفي قبال الظاهرة الكبيرة ، التي هي العالم المتفاعل معنا باستمرار ، والمتغير باستمرار على جمع الأصعدة . وينبغي أن تنسجم حلول تلك التحديات مع كل هذه

المجموعة ، وفي نفس الوقت يجب أن يكون لها دور مؤثـــر ضمـــن وحدة العالم الإسلامي ، وتكون منسجمة من جهـــة أخـــرى مـــع طموحات الرقي ، التي لها تأثير حضور في هندســـة وإدارة المجتمـــع العالمي وهداية البشر .

من هذا المنطلق فإن الاهتمام بالمصالح الحيويـــة للأمـــة وإحقاق الحقوق المضيّعة واحترام حق الإنسان في تقرير مصـــيره ، وتقرير سيادته على نفسه والاعتراف بحق الاستفادة من المواهـــب الإلهية والإنجازات العلمية للإنسان وضمان حق الأمم في الأمـــن والرفاه ، والمطالبة بالعدالة والحرية والمعنويات هي عناصر ضرورية في أي حل للأزمات الموجودة على المستوى الدولي .

غني عن البيان أن هذا السبيل يتطلب تحقيق وتعميق هويتنـــا على الدوام ، والطريق إلى ذلك هو التنمية على المستوى القطـــري والإقليمي وتعزيز الأمن الحقيقي على قاعدة رصينة ترتكز إلى التعاون والتآخي والتحمل ، وبهذا يمكن أن نرى تحقق الشعار الخالد :

" الإسلام يعلو ولا يعلى عليه "

أشكركم لإصغائكم والسلام عليكم .

المؤلف : محمد علي سـرحان

- كاتب وباحث ، عضو في اتحاد الكتاب العرب، جمعية البحوث والدراسات .

- عضو اتحاد الصحفيين السوريين .
- عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .
- مهتم بقضايا الصراع العربي ـ الصهيوني والقضايا الاستراتيجية.
- مهتم بقضايا الشؤون الاستراتيجية الاقتصادية وحماية البيئة وقضايا عالمية أخرى
- له عشرات المقالات والدراسات في الصحف السورية والعربية .

- من مؤلفاته :

- الاقتصاد الصهيوني وبوادر الانهيار . بيروت
- خطر السياسة الأمريكية وتردي الاقتصاد العالمي . دمشق ، دار الجليل
- استراتيجية السلام العالمي والعلاقات الدولية . دمشق
- النظام العثماني والهجرة اليهودية إلى فلسطين ١٩٤٢٠ ـ ١٩٥٢م . دار دمشق

• تحت الطباعة :

- قضايا الشباب العربي المعاصر .

- الستار النووي الإسرائيلي . دار الزاوية — عمان

- التحولات السياسية في العالم المعاصر . (مخطوط)

- إيران إلى أين ؟ في عهد الرئيس محمد خاتمي وبرنامجه الرئاسي الجديد ١٩٩٩

- ومخطوطات أخرى .

إيـــران إلى أيـــن ؟

تتناول هذه الدراسـة السياسـية التحليليـة الشـاملة والموضوعية، وضع الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة ودور الرئيس محمد خاتمي في الأمور السياسية الداخلية والخارجيـة، والتطلع نحو مجتمع إسلامي ديمقراطي وعصرنته، بما يعـني أن المؤلف أوضح بالرؤية العلمية والتحليلية التي يتمتع بهـا في أن يكون عمله مرجعاً سياسياً ومعيناً لا يستغني عنه البـاحثون ورجال السياسة والأكاديميون ومراكز الأبحاث المتخصصـة بالدراسات السياسية حول إيران ومنطقـة الخليـج وآسـيا الوسطى والشرق الأوسط.

والمؤلف لا يبحث عن جائزة على كتابـه هـذا مـن مؤسسات أو مراكز أبحاث والدراسـات الخاصـة بـالفكر السياسي، إنما أراد إطلاع القارئ على دور إيران المـهم في الساحتين الإقليمية والعالمية، وبالتـالي في العـالم الإسـلامي والمؤتمر الإسلامي، وعسى أن يكون المؤلف قد أغنى المكتبـة العربية والإسلامية ومراكز ومؤسسات الأبحاث السياسية به.